كُرَة اللَّهب

كتاب قصصي مشترك

الإرهاب.. أسباب ومآلات

إشراف وتقديم

د. محمد سعيد المخلافي

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم

كرة اللهب

FLAME BALL

نظرة الرجاء الأخير. لؤي جليل لفتة- العراق

الإنتقام . أحمد سليمان أبكر - السودان

وطن البراميل. د. أمين أحمد ثابت- اليمن

أن تذبحو بقرة. عيسى محمد الحمد- سوريا

أثر. هبة محمد المدهون- فلسطين

ملائكة وشياطين. هشام أجران- المغرب

انتزاع. أحمد غانم عبدالجليل- العراق

دموع الفراولة. حسن كشاف- المغرب

المجند ألف [1000]. سماعي براهيم- الجزائر

ISBN: 978-91-89273-67-2

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

كُـرَة اللَّـهَـب

قصص قصيرة "الإرهاب جذوره ومآلاته"

الكتاب: قصص قصيرة

المؤلف: مجموعة من المؤلفين

الطبعة الأولى 2020

ISBN: 978-91-89273-68-9

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 2020-11-16-16-50

الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، ڤاسترا جوتالند

هاتف: 0046790185518

البريد الإلكتروني:

digitizethearabicbook@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

مقدمة:

تُوَاصِل دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، مسيرتها الرِيادِيَّة، بإصدار هذا الكتاب الذي يضم نصوصا من الأدب القصصي، تتناول موضوعاً من نافلة القول وصفه بالخطير وبكونه أسلوبا من أساليب الصراع قديم، قدم الإنسان ذاته؛ يُمثل جُرم(قابيل)نموذجه الأصلي وصورته الأولية التي اُستمرئت بمظاهر معقدة وتدحرجت بلا هوية عبر العصور ككُرَة من لَهَب تُروَّع الأبرياء، وتعصف بالاستقرار، وتُقَّوض المبادئ الإنسانية الأولى. متخذة أبعاد نظامية وسياسية، تقوم بنحو أبرز على ترويج الأفكار وتحويل القواعد، وتجد أسباب بقائها في الجهل المُرَكَّب وأثره القائم على سلب الهداية أولاً ومن ثم جلب الغوايات، وبآليات دفاعية تُعلي من شأن الحافز الغريزي المُختَل وتُزَكِي النشوة العقائدية لضحايا الضلال.

ولذلك وقع اختيارنا على هذا الموضوع، متطلعين من خلاله إلى تمام الدقة والصراحة بمحسوس الشواهد دون معتكر الملابسات العقلية، والضرب على وتر الأحكام والإعتقادات وعكس واقع السطح كما هو، لا بما يخفي تحته من أشياء مثيرة للخشية؛ تُظهر حقيقة النظر إلى الآخر كعدو محتمل على ساحة صراع التملك، والتسلط، والسيطرة، والتدافع الوحشي وإثارة الأنا المتعجرفة والثقة العمياء بكونها مُحِقّة ومتفوقة على التوالي، وعلى حساب الحقيقة، بل على حساب الحياة نفسها.

وليكون بذلك باكورة سلسلة تعتزم الدار إصدارها تباعا لموضوعات منتقاة، ترى أهميتها من واقع الدور الطليعي المراد الإضطلاع به، وكمبادرة لفسح

المجال أمام الأدب لنقل رسالته الموجهة الهادفة بلا قيد أو تثريب، وللكشف عن جوانب القصور من عمق التفاعلات العاطفية التي تُظهر الكثير من مثيرات الشعور والانفعال بلا مسافة وجدانية فاصلة بين نطاق هموم القارئ وبين النص الأدبي؛ وبلا تشوهات عاطفية للحقيقة في المقابل. وليتمكن بذلك من تبوء مكانته المستحقة كقالب متفق عليه لنسخ الظواهر مصبوغة بألوان مشاعرية وحدها الكفيلة بتخليق الرفض كحالة لا وقائع متناثرة مآلها التصادم وجولات جديدة للصراع، وتثبيت الرداءة.

وإذ يسعدنا أن نتقدم بهذا الكتاب إلى القراء الأعزاء، فأنه يحدونا صادق الأمل، بأن يجدوا فيما احتوى حُسن دلالة على الفكرة، وتأسيسا إبداعي عن الواقع وإعادة إنتاج له بتمرير ذاتي وإحساس مرهف للمؤثرات الخارجية بما يبدو منها وبما هي عليه في ذاتها. وهنا أجدها مناسبة لتوجيه أسمى آيات الشكر لأعضاء فريق التقييم الأجلاء، معربا فيها عن تقديري وشديد وثوقي بخبرتهم الجمالية بكافة أبعادها، والموجهة نحو ثمرة هذا العمل. وتفهمي لخروجهم بخصوصه عن حدود الشرط المُعلَن، المتعلق بحدود النص في القصة القصيرة؛ من منطلق تقديري التلقائي لكل تجربة فذّة تتمثل التجريد الشاعري والتحويل الرمزي للفاعلية الجماعية، وتثير اهتماماً مفعم بالحيوية يهدهد اللاوعي ولا يزايد على الواقع ويحمل على التعليق الإرادي للاعتقاد. بصرف النظر عن محدودية فضاء تلك التجربة. كما تظل المقاييس التي تم اِعتمادها من قِبلهم، محل ثقتي الأكيدة، وموضع اقتناعي بداهة، فضلا عن أنه لا يخفى عليَّ بأن الكتاب يتناول موضوعاً شائكاً، وبطغيان أدب الهروب لاسيما في زمن الشدائد، والأزمات، والجوائح. ولئن كنت شخصيا لا أميل إلى هذه النزعة الأدبية، فأنه

يكمُن فـيَّ أيضـا، ذلـك الاسـتعداد الفطـري للهـروب إلـى عـالم السـكينة والكمـال والحياة المشرقة بالجمال.

كجميل أملي للقارئ الكريم بقضاء وقت ممتع مع محتويات هذ الكتاب.

د. محمد سعيد المخلافي

دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

نظرة الرجاء الأخير

تأليف: لؤي جليل لفتة(العراق)

...

خلعوا الغطاء عن رأسه، بسبب المكان المعتم الذي أُخرج منـه، صُدم بصـره بضوء الشمس، عصر أجفانه بقوة إلى أن تراخت واتضحت رؤية المكان حوله، كان لا يحيطه سوى رمالا بيضاء، وأثر منزل مِن الطـين انتصـب أمامـه رجـالا ملثمون ومدججين بالسلاح، رجل يحمل سيفا وأمامـه أخـر عـاري الـرأس جاثيـا على ركبتيه، وكاميرا تحملها ثلاث أعمدة نُصِبت أمـامهم، ملـثم مـن خلـف كتفـه خرجت فوهة بندقية يمسك بيديه ورقة، يقرأ ويهدد بإصبعه، أنهى كلامه سـريعا وصـاح: الله اكبـر .. الله اكبر....فـارتفع السـيف فـوق رقبـة ذلـك الرجـل، إرتـجَّ وتعـاظم الرعـب بقلبـه، وعجـز عـن النظـر، أنـزل بصـره علـى ظلـه، ارتفعـت أصـوات التكبيـر مـرة أخـرى رأى رأس ظلـه ينفصـل ويسـقط علـى الأرض، والرأس الحقيقي تدحرج إلى أن استقر فمه على طرف حذائـه ، والـدم ينبـع مـن رقبته ويتخلل الرمل الابيض.

**

ما جعل دبوس يخضع للبقاء في هذه القرية، رزقه بولد لـم يـرث منـه شـيء، سوى سمرته وابتسامة أعرض من ابتسامة أمه جعلت كل من في الشارع يعشقه

وأصبح بفضله بيت دبوس مألوفا بعد إن كانت الأقدام تتجنب الوقوف على عتبتهم، يجلس في دكان أبوه مُبصِرا لكتابه الذي لم يفارق يديه منذ الصف الأول وحتى تخرجه من الجامعة، وفي أحد الأيام ضُرب وجهه بقلم جاف لم يعرف مصدره وكأنها رميه من غير رام، عبر يده على جبينه ليتأكد ما إذا كان هناك دم من أثر الضربة، ثم التقط القلم وشخبط قليلا على كتابه ودسه في جيبه مع بقية الأقلام، سمع صوت أمه تناديه "حسون حبيبي.. تعالَ الغداء بدأ يبرد"، كان دبوس يأكل وباله مشغول بحسابات ومصاريف الشهر فعمله قد تغير للأسوأ ولم يكن يدر عليه في الأيام الأخيرة سوى القليل ، "حسن متى تناقش بحثك"؟ سأل دبوس ابنه الذي حمد الله ونهض عن الطعام ، "أسبوعين لا أكثر" "أسال الله أن يوفقك وتتخرج عسى أن تحصل على وظيفة تجبر بها ظهورنا التي قوستها الأيام" ،"أبي أتمنى أن ارفع رأسك" أجابه سريعا وذهب ليأخذ قيلولة صغيرة تقلب فيها كثيرا على الفراش أيقظته بعدها ملاحظة حلم بها تخص البحث، مد يده يبحث عن ورقة وقلم أخذ يدون بشغف وكأنه عثر على القطعة المفقودة في لعبة بازل، انتبه لوجود شيء أبيض داخل القلم رفعه للأعلى كأنه يتفحص ورقة نقدية كسر القلم وتفاجئ بوجود ورقة صغيرة كتب عليها رقم هاتف.

- إنها ما بعد العشرين.. تجعل من مثله يبع عمره للظفر باحتضان أي جسم ممتلئ ودافئ يطفئ مأساة الحرمان بداخله - اعتقد إنها فرصته كان يتحدث مع نفسه. "لا يمكن أن تكون غيرها أُختَ نشوان جارنا غريب الأطوار الذي يدس أنفه في كل شيء والذي لا يتورع عن الحيلة والطرق الملتوية للحصول على رزقه" فهي لا يمر يوم إلا وتقف خلف الباب تختلس النظر من ثقبه ولا تعلم إن قدماها ونعلها الأحمر الصغير يراه كل عابر تحت الباب بما فيهم هو، حتى رسم قدميها أحد الأيام دون جسدها، لكنه ليس ككل من هم بعمره كان مختلف ويقتله

أحيانا هذا الاختلاف فلم يجلب لـه غيـر العـوز والحرمـان جعـل حياتـه يحيطهـا الزجاج الذي يشف ما بالخارج دون أن يستطيع لمسه، قال محدثا نفسه" هيهـات لابد من تحطيم هذا السجن الشفاف غدا اذهب وليحدث ما يحدث".

**

كـان الطقـس مجنـون عواصـف ترابيـة تسـلخ الشـوارع والسـاحات، زوابـع صغيرة تحمل الرمل وترشق الجدران والأبواب، يصـدر الزجـاج صـوتا كخـرز المسبحة المقطوعة، يبحث نشوان عن شيء يغلق به شباك غرفته ويلعن الـوطن وتراب الوطن. يسمع طرق الباب فيلعن البـاب والطـارق ويخـرج للبـاب؛ ذعـر حسن لرؤية نشوان! لم يكن في حسبانه ضنا انه خـارج للعمـل كعادتـه، كـان قـد سهر طوال الليل وهو يكلم رسما بدائيا أكمل به قدمها ذات النعـل الأحمـر دائـرة وضفيرتين لصبية بدون ملامح، جسمها ممتلئ وصدرها كبير كما كان يتمنى أن تكون، كانت خيبة كبيره أن يفتح البـاب أخوهـا الرفيـع الأملـح رحـب بـه بلسـان معسول "أهلا بحسن شمعة القرية تفضل أدخل"؛ زاد فضلك خذ هذا الرطب مـن نخلتنا فأمسك الصحن بيده وسحبه من زنده وادخله عنوة للدار، قـائلا "ادخـل يـا أخي لا يخنقك التراب ادخل وكلمني عن إخبـارك" قـال لـه وهـو يطـوف بنظـره أرجاء البيـت ويرمـي بصـره علـى فتحـات الأبـواب علـه يلمـح مـا جـاء لرؤيتـه "تعرف يا نشوان بعد أيام أكمل أيام الجامعة ولا هم يشغل بالي غير والدي كيف أعينهم و أعوض خسائرهم وأيامهم التي ضاعت لأجلي.

أجابه: "لا تخف بخصوص العمل إذا كنت جاد في إيجاد عمل، أخاك موجود" وضرب كفه بصدره.

قال حسن: "أتمنى ذلك.. لكن كيف؟"

أجابه نشوان "اسمعني جيدا هناك عمل حصلت عليه ليس بالصدفة بل بالتدبير فانا لا انتظر مائدة تنزل من السماء ولا أؤمن بالوظيفة بل اعتبر من ينتظر الوظيفة كحجر يحلم أن يوضع على حائط ويستقر فيه حتى يهدم وأنا لا املك أي مؤهل يساعدني بالحصول عليها عندما تكون متوفرة طبعا، ولا احتمل أن أكون حجرا يدوسونه بالإقدام أو يضعون مؤخراتهم عليه، وبما إن البلد يعاني من التقشف كما يدَّعون، كلما خرج الشعب مطالبا بفرص العمل. والكل يعلم إن فرص العمل ليست قليلة بل الفاسدين كثروا في البلاد، ولكي لا تضيع عمرك تحلم بالحصول على عمل تعين به والدك اقترح عليك أن تأتي معي نعمل في مكتب الدعم اللوجستي للمجاهدين في المدن التي دخلها التنظيم ننقل المساعدات والتبرعات لهم. فكر بالأمر فإذا وافقت أجلُب لك هوية من المكتب تسهل عليك عبور نقاط التفتيش الحكومية. قال حسون بعد أن شعر بهدوء العاصفة الترابية وهو ينظر إلى شال وردي معلق على حبل ويرفرف بهدوء خلف زجاج الشباك " من هم أكبر مني يأسوا من إيجاد وظيفة وأصبح الحصول عليها بالنسبة لهم أمنية غابرة أطفأ الزمن بريقها، لذا لا أريد إن أكون مثلهم أنا معك متى ما شئت اجلب لي الهوية وسأكون قد بيضت وجهك". حسنا سوف تأتيك الهوية و في بداية الشهر القادم تباشر بأول رحلة معي فقط اجلب لي نسخة من أوراقك الثبوتية.

**

كان دبوس يجلس مع أحد أولاد عمومته على بساط تحت ظل نخلة أمام دكانه وأمامه كوز لبن وسلة من الرطب، عندما رأى حسون دخل البيت بدون سلام لم يقطع حديثه مع ابن عمه الذي كان يصف به اختلافه مع شيخهم والعشيرة التي انحرفت عن العادات الأصيلة في أعوامها الأخيرة، بعد وفاة شيخهم الطيب أبو

هجرس وتولي ابنه قليل الحكمة هجرس الشيخة عليهم فقد كان متسلط، سريع باتخاذ القرار، يتصنع القوة، ولا يفقه شيء عن سنن العشيرة يُخير الناس بين السيء والأسوأ لا ثالث بينهما، كان بتلك الكلمات يريد إيصال رسائل عن طريق ابن عمه الذي يحمل عقلية العبد الذي لا مكان في عقله للكرامة والذي كانت ملامحه تعبر عن عدم الرضا بمثل هذه الصفات التي يطلقها دبوس على شيخهم، فنهض يريد الخروج وفي الإثناء خرج حسن؛ ودع ابن عمه، و نادى على ابنه سائلا عن وجهته فقص عليه حسن كلام نشوان وحصوله على عمل وانه ذاهب إليه ليعطيه أوراقه الثبوتية ، لم يقل شيء سوى "الله يوفقك ابني". دفع الباب عن قصد ودون استئذان عله يحظى برؤية ما جاء لأجله؛ صاح عليه نشوان فدخل وأعطاه الأوراق قال نشوان لا تنسى الموعد أول الشهر، وذهب يجلب له الصحن عاد حسون بصحنه فارغا كما قلبه، متبدد الآمال لكن فرحته بإيجاد عمل عززت فخره بنفسه كان يوم لا ينسى ذهب إلى فراشه وغط في نوم عميق واستيقظ في اليوم التالي على طرقات عنيفة على الباب دارهم .

**

إن الرجل الذي لا يعتبر سنن عشيرته هي أعلى القيم حتى لو كانت باطلة يكون قد تخلى عن حماية تلك العشيرة وأصبح منبوذ وتغلق كل الأبواب في وجهه هذا ما حدث لدبوس، حين رفض أن يرضخ لكلام الشيخ عندما دعاه لحمل السلاح معهم ضد عشيرة أخرى وكان السبب في ذلك إن أحد أبناء العشيرة قليل الخبرة بقيادة السيارة، دب الخوف في قلبه بعدما دخل في طريق مظلم بين البساتين فزاد من سرعة السيارة حتى فوجئ بصوت غاضب لنباح كلب قريب، فلتفت ناسيا الطريق وإذا به يصطدم بجذع نخلة مما سبب ضربة قوية في رأسه استيقظ بعدها بأسبوعين في المشفى وروى الحادثة لأهله ثم مات،

فما كان من عمومته إلا الذهاب إلى موقع الحادث يسألون عن صاحب الكلب الذي أفزع ابنهم ودمر سيارته، وبعد وصولهم لمكان الحادث دخلوا بستان على جانب طريق ملتوي أطلق عليه أهل القرية بطن الحوت، لأنه ابتلع الكثير بسبب الحوادث، لمح أحدهم طفلة صغيرة لطخ وجهها الطين وسط حشائش البستان الخضراء تضع قدمها على حافة ساقية ماء رفيعة تمسك عودا وتطلي أظافرها بالطين وتداعب النسمات العذبة أطراف شعرها الأشقر، هم احدهم ليسألها عن أهلها فنظرت إليه بعينيها العسليتين، وأشارت إلى رجل ضخم يضع سكينا تحت حزامه ويحاول بطح خروف سمين ليجزره وركضت أمامهم تصرخ فرحا بالضيوف، أخذ الرجل ابنته التي اسماها "تفهي" لجمالها الذي يأخذ العقل، بالأحضان ورفعها للأعلى وقبلها وعض رقبتها مدغدغا إياها وهي تسكر من الضحك. حيا الجميع وكانوا ثقالا برد التحية سألوه؛ إن كان صاحب الكلب فقال لهم "نعم" شرحوا له الأمر وأمهلوه عشرة أيام ليجمع أعمامه تحضيرا للفصل وتعويض أهل الشاب الذي توفي. لم يكن هذا الرجل بالساذج وقابل قصتهم بالاستهزاء قائلا وهو يحمل ابنته بذراعه القوي ويشير بإصبعه لهم "أنا لست بعزرائيل وإذا كنتم تفكرون بالتعويض اذهبوا لتلك الكلاب وخذو منها مهلة". انتفض أهل السائق رافعين أصواتهم بالتهديد والوعيد وقلصوا المهلة من أسبوعين إلى واحد فقط ورحلوا وهم ناقمين عليه، جلس صاحب الكلب غير مبالٍ بكلامهم وأخذ يحك الطين بأظافره عن أصابع ابنته بلطف.

**

مر الأسبوع دون أن يطرق غريب ديارهم فتجهزوا لحرب ضد هذا المُزارع فحضر جميع أبناء العشيرة مضيف الشيخ هجرس وما أن هموا بالخروج بعد أن تشاوروا ووضعوا الخطط أحس الشيخ بغياب دبوس الذي كانت حكمته تنقذ

الشيخ في كثير من الحروب الكلامية في جلسات الدواوين فكان يتقبلها بالسر ويعتبرها ضعفا في العلن. فأمر خادمه أن يذهب ويأتي بدبوس فورا. تجمهر أبناء العشيرة في دائرة كبيرة يتوسطها الشيخ عند باب المضيف وهم يثيرون الحماس بـ(الهوسات) التي تُمَّجد اسم العشيرة وتذكرهم ببطولاتها وهم يتقافزون ويركلون الأرض بأقدامهم محدثين صخب اهتزت له الأرض وتصاعد الغبار فوق البيارق التي تحمل اسم العشيرة، حتى سمعوا صوت الشيخ مدويا وسطهم فعم الجميع الصمت وتوقفوا عن القفز فاتضحت الرؤيا قليلا، وفوجئوا بالغضب المرسوم على وجه شيخهم! ودبوس أمامه يصيح في وجهه بصوت غليظ "بمن أشد رقبتي وأنت وابنك وأمثالكم نائمون بمثل هكذا يوم؟ كيف لا تكسر العشائر رقبتي إذا سكتَ عن كل معتدي؟ وتوجه بكلامه للجموع الغفيرة بصوت أغلظ أتريدون أن نصبح أرانب عصبية نتقافز ساعة الاعتداء وندخل جحورنا ساعة الخطر" ؟ فارتفع صوتهم يتفقون مع كلامه. انتظر دبوس ان يهدأ الجميع ورد قائلا" يا ابن عمي لا يشد عظام الرقبة غير الحق أما رأيكم بالهجوم على أناس عزل تعتقدون بأنهم السبب في موت ولدنا لان كلبهم عوى عليه فهو باطل، ولا يمنعني من الانحياز للحق اصراركم بانه مذنب، الكلاب تعوي على كل شيء يتحرك والناس لا يخيطون أفواه كلابهم التي تحمي أملاكهم . لم يجد هجرس كلام ليرد عليه ولم يستطع السكوت خوفا من استصغار الجموع له، فأشار بإصبعه جانبا وقال "أنت وأمثالك ممن يفكرون ببطلان رأي شيوخهم خارج العشيرة.. اغرب عن وجهي واذهب ولا تفتح فمك وإياك ان تفكر بحمايتنا يوما" شقوا له طريقا بينهم والغريب أنه لم يسمع أحد يسب ويشتم سوى حطَّاب الذي قذفه بما لم يحتمله احد أثناء مروره بينهم ليس لعداوة بينهم وإنما ارضاءا للشيخ،

فترفع عن الرد عليه و شعر انه نال احترام الجمع وان كلامه اثر فيهم أكثر من تأثيره بالشيخ.

**

يضطر بعض الناس الخروج على مبادئهم الأصيلة بدافع المنفعة وبعضهم طمعا بمكاسب معنوية تضعهم في رأس القائمة عند توزيع الغنائم التي تكافئ بها الحكومة رؤساء القبائل. أما أرذلهم فيمد لسانه ويلعق ما يتساقط من مائدة الشيخ. كحطَّاب الذي يقلل من ظهور جبنه بالتزلف الذليل للشيخ وبداخله يشعر بالإهانة، لأنه لا يمتلك مواقف أو بطولات تذكر في المجالس، كان يتحين هذه الفرصة، فلم يكتفي بحمل السلاح والتحزم بأشرطة الرصاص بل حمل في جيبه قنبلة يدوي، وكان أكثر أبناء العشيرة حماسا يحثهم و يدفعهم من اكتافهم ليركبوا السيارات، وقبل أن يصعد فتح الباب والتفت وراءه علـه يحظى بكلمة أو نظرة تنم عن رضا الشيخ عليه لكن الشيخ قد رحل إلى مضيفه، نزلوا شارع بطن الحوت باتجاه منزل صاحب الكلب كانت العروق الذهبية حول الغيوم الداكنة توحي بزوال الشمس ترجلوا عن عرباتهم عبروا البساتين سيرا، أنحنى بعضهم واحتمى آخرون بجذوع النخل، وطمس نعل أحدهم بالساقية الرفيعة حين سمعوا نباح كلب قريب، كانت القلوب ترتجف، حتى أعطى كبيرهم إشارة الهجوم فأمطروا البيت بزخات الرصاص، تصاعدت الطيور من البستان وهاج صياح البط والدجاج لكن لا صريخ ولا ردة فعل لبشر، لم يكن داخل البيت سوى "تفهي" كانت نائمة بركن إحدى الغرف أفزعها الصوت فتحت عيناها مرعوبة كانت وحيدة نادت على أبيها لم يكن هناك. لفت نفسها بالغطاء وعضت على طرفه وهي تصرخ في أعماقها دون أن تفتح فمها أنين طويل ينقطع بانقطاع النفس تعقبه شرقه تنفجر داخلها وتخرج على شكل هأهأ بعد كل أنَةً طويلة،

دفعت نفسها للخلف والتصقت بزاوية الغرفة حاضنة ركبتيها وهي ترتجف مرعوبة، تشعر أن الكائنات الخيالية التي كانت أمها تخيفها بها دائما، هجمت عليها من كل صوب، كانت تحاول أن تُوهِم نفسها بوجود أحد. رأت ثوب أبيها معلق. تخيلته واقف أرادت تسأله "أنت بابا" فخافت وكتمت سؤالها وبقيت مشلولة لا تستطيع فعل شيء، إلى ان هدأ صوت الرصاص. اتفقوا على الانسحاب وهرولوا خارج البستان، لكن حطَّاب تخلف عنهم لم يقتنع بأن الرسالة قد وصلت فتح حلق القنبلة اليدوية ورماها باتجاه الشباك فوقعت بالركن الذي تحتمي به "تفهي" وكانت أخر ما رأته عيناها العسليتان التي لم ترى الكثير من هذه الحياة.

**

يحاول الإنسان الذي سأم من العلاقات مع البشر بالتعلق بأشياء نقية لا تتقلب بين الود والكراهية، كنبتة أو حيوان أليف أو طفل بريء، يطرد ملل الحياة من نفسه، وكانت ذلك الشي الذي يعيش لأجلها أنيسته، وصديقته، وعلاقته النقية، يلفها بذراعيه القويين ويشمها يلعب معها بعد كل يوم متعب، يفرح إذا نطقت بكلمة جديدة وكثيرا ما يضحك حين تلفظها كأي طفل في عامه الرابع يطلق الكلمات جزافا. كان خارج البستان مع زوجته يرعون الغنم ظنوا أن صوت إطلاق النار لتشييع جنازة أو وفاة رجل ذو حظوة. قرر العودة للمنزل فضولا منه ليعرف مصدر هذا الصخب. وفي منتصف الطريق رأى دخان يتصاعد من بين النخيل في موقع بيته فأمسك نعليه وركض حافيا. كانت فاجعة عظيمة وقف مدهوشا من هول ما رأى وهو ينطق؛ تفهي ... ابنتي تفهي ... ركض باتجاه النار ليرمي نفسه بها ويخرج ابنته، لكن اثنين من رجال قريته أمسكوا به فلم يفلحوا، فتبعهم اثنين طرحهم جميعا على الأرض، وخر على ركبتيه شاقا ثوبه

باكيا لاطما على رأسه، شعر إن النخل يدور حوله والنار تلتف عليه وابنته وسطها تصرخ، قفز ولفها بذراعيه كلمته، بحضنه بكلمات ابتسم لها ودموعه تملأ التجاعيد حول عينيه، رأى غيمة سوداء وقفت فوقهم ورشقتهم بزخة مطر، استيقظ بعدها على صوت رجال رآهم بين الدخان الأبيض الذي ملأ المكان يحملون الماء ويرشقون به النار نظر لحضنه وكان فارغا إلا من الماء الذي صبه أحدهم عليه.

**

كان النهر ينشد الشعر

وكانت أجمل قصيدة قالها،

منذ أن شق الله طريقه في الأرض

وكان وجهك اقتباس من تلك القصيدة

وكانت للملائكة

كل ألف عام من العمل

ساعة واحدة للاستراحة

تقضيها على سور داركم

أملا أن ترزق رؤية وجهك

رسم حسن قلبا مفطور نصفين بجانب رسمته لأخت نشوان النصف الأول كتب به تلك الكلمات التي اعتبرها شعرا هي من ألهمته إياه، وترك النصف الثاني فارغا أملا أن تخط يدها ما تشاء فيه يوما ما، كان حسن لا يعلم بما

يجري حوله سمع صوت أباه عاليا على غير عادته، وضع أذنه على الباب، وما أن أدرك إن الحديث يدور حول العشير والشيخ عاد لسريره ودفتره فتلك المواضيع لا تهمه. وقبل أن يجلس سمع أباه مناديا فهرع إليه "حسن أحدهم ينتظرك في الباب". كان نشوان أكمل هويته بعد التشفع واستعمال طرقه في الحيلة. اِسمع حسن.. ضع الهوية في جيبك ولا تنسى غدا ننطلق.

وفي تلك الأثناء كان صاحب الكلب مجتمعا بأبناء عمومته، بعد أن دفن رفات ابنته في مكان الحادث. كانوا فخذ صغير من عشيرة تقطن في مدينة بعيدة رأى أحدهم بأن يبلغ الشرطة ورأى آخر بأن العين بالعين والبادئ أظلم، أخذ برأي الأخير، وكان شابا متحمسا ليس أقل ضخامة من صاحب الكلب يملك سيارة بيك اب، فذهب معه ليخرجوا أسلحتهم المدفونة تحت الأرض مدافع هاون وقنابل بأشكالها وأسلحة رشاشة حملوها في البيك اب وقرروا التوجه لقرية هجرس بعد منتصف الليل. دخلوا مكان قريب من القرية وتأخروا في نصب مدافع الهاون فيه، تركوها ثم توجهوا للقرية، كان حسن دبوس قد استيقظ منتصف الليل. سَبِح و تهندم ووضع هويته بجيبه وشد الرحال للسفر وخرج من قريته. كانت عادتهم أن يقفوا على الشارع ويرفعوا أيدهم للسيارات عسى أن يحملهم عابر يختصر المسافة، لمح سيارة بيضاء متجه نحوه فرفع يده، كان داخلها صاحب الكلب وابن عمه قال صاحب الكلب لصاحبه "توقف له". سألهم حسن بتودد صاحب الحاجة "أين تصلوا" فأجابه صاحب الكلب "قُرب مركز المدينة اركب"، وحين وضع قدمه على عتبة الباب نزل الأخر فجأةً وقفز عليه وطرحه على بطنه في المقعد الخلفي لف فمه بقميص وربط رجليه ويديه بإحكام كان حسن لا يعرف ما يجري له. مصدوم لم ينطق بشيء، حتى دخلوا القرية أخذوا الطريق الذي يمر من بين بيته وبيت نشوان باتجاه المضيف. ترجل صاحب الكلب وصعد في

حوض السيارة. فتح صندوق القنابل ورمى المضيف بقنبلتين أحرقتاه بالكامل وأمر ابن عمه بالتحرك، كان لا يعرف صاحب الكلب بيت الشيخ فالبيوت متشابه تقريبا فقام يرمي القنابل عشوائيا على المنازل عائدين بنفس الطريق، كان حسن ينظر من الشباك كيف البيوت تحترق وتتهدم أمام عينيه وعندما وصلوا لبيته انخلع قلبه عندما رأى صاحب الكلب يسحب القنبلة الأخيرة، أطلق حسن صرخة انفجرت كالفقاعة خلف القميص الذي يلف فمه، فأغمض عينيه وتمنى أن لا يرمي أي من الدارين، فرماها باتجاه بيت نشوان واخترقت شباك إحدى الغرف ثم انطلق بأقصى سرعته خارج القرية وتوقفوا عند مدافع الهاون أطلقوا أربع قذائف هاون باتجاه القرية وفرو هاربين نحو بطن الحوت، نزل صاحب الكلب هناك واخذ نفسا عميقا كنمر انتهى من تناول صيده السمين، وأوصى ابن عمه أن يأخذ الشاب معه وينطلق إلى المدينة وسيلحقهم بعد ساعة ليودع ابنته ويأخذ زوجته وما تبقى من أشيائه.

**

أخذ ابن عمه الذي كان مرعوبا هو الأخر الكلام وانطلق. أما القرية فقد استيقظت على فاجعة لن تنساها أبدا. الدخان يتصاعد من بيوتها والحرائق تلتهم المضيف الذي يمثل هيبتها، شعر الشيخ وهو يبصر مضيفه، بأنه هاجم الشخص الخطأ، لأن هذا الإرهاب لا يمكن أن يكون ردة فعل رجل عاقل، اصطف خلفه بعض رجال القرية قال أحدهم "ماذا نفعل يا شيخ" ؟ أجابه نعيد بناء المضيف. أخذ ابن عم صاحب الكلب طريقا ترابيا متعرجا نزل عند مكان معزول وفك وثاق حسن وقال له "رأيت ما حدث البارحة فلا داعي للتهور" . وأجلسه بجانبه وانطلق متجها للطريق السريع، كان حسن يشعر انه مصلوب وبانتظاره كم هائل من الرماح ستسقط عليه. مشوشا لا يعلم على من يركز تفكيره بعائلته أم

بأخت نشوان أم بقريته أم بحالته التي هو عليها الآن، دخلوا سيطرة حكومية، طلب منهم الضابط أن يعرضوا هوياتهم فأخرج حسن هوية المكتب، وما إن رآها الضابط صاح على السائق انطلق. أما في السيطرة التي بعدها بمسافة وكانت بمكان صحراوي معزول استوقفهم أشخاص أغراب وقلقين التفوا حول السيارة وطلب أكبرهم رتبة الهويات منهم فعرض عليهم حسن بكل ثقة هوية المكتب وما إن قرأ شعار المجاهدين عليها أعطى فريقه إشارة فانقضوا عليهم وأخرجوهم من السيارة وبطحوهم أرضا، كلبشوا أيديهم ولفوا شريط لاصقا حول أفواههم وتحركوا باتجاه أرض رملية تناثرت فيها التلال الصغيرة.

أخذوا حسن على خيمة الأمير، طلب منه الحديث عن معلومات تخص انتمائه، روى له ما حدث وفي منتصف الكلام أمرهم أن يخسفوا به الأرض حتى يدلي بمعلومات مفيدة فتوالوا عليه بالضرب بأخامص بنادقهم، ثم رفعوا رأسه بوجه الأمير، فأمره ان يتكلم ثانية بشيء مفيد، فتح فمه وسال خيط من الدم وانقطع، أخذ نفس عميق وقال وهو يلهث وصوته يرتجف:" أخي أنا خائف، لم أرى شيء من الدنيا، هذا أبعد مكان أصل إليه لم أسافر بحياتي لم أذنب ذنبي الوحيد إن حظي عاثر، لم أؤذي أجداً. قلبي مفطور. أنا الوحيد لأهلي أتعلم ما معنى وحيد يتكئون عليّ يريحون ظهورهم المقوسة عليّ أنا العمود إذا فقدوني يتهدم البيت فوقهم، أنا خائف عليهم".

ولم تجدي المحاولة مع هذا الهمجي. شاور أحد أتباعه وأمرهم أن يغطو رأسه ويجلبوه بعد ساعة .

خلعوا الغطاء عن رأسه ، بسبب المكان المعتم الذي أُخرج منه، صُدم بصره بضوء الشمس، عصر أجفانه بقوة إلى أن تراخت واتضحت رؤية المكان حوله،

كان لا يحيطه سوى رمالا بيضاء، واثر منزلٍ مِن طين، أمامه رجالا ملثمون ومدججين بالسلاح، رجل يحمل سيفا وأمامه أخر عاري الرأس جاثيا على ركبتيه ، وكاميرا تحملها ثلاث أعمدة نُصِبت أمامهم ، ملثم من خلف كتفه خرجت فوهة بندقية يمسك بيديه ورقة ، يقرا ويهدد بإصبعه، أنهى كلامه سريعا وصاح ؛ الله اكبر .. الله اكبر....فارتفع السيف فوق رقبة ذلك الرجل ،ارتج وتعاظم الرعب بقلبه، وعجز عن النظر، أنزل بصره على ظله، ارتفعت أصوات التكبير مرة أخرى رأى رأس ظله ينفصل ويسقط على الأرض، والرأس الحقيقي تدحرج إلى أن استقر فمه على طرف حذائه ، والدم ينبع من رقبته ويتخلل الرمل الأبيض، كان رأس ابن عم صاحب الكلب. وكان أميرهم يراقب عن كثب، هاجت رغبة داخله بان يصرخ بإذنه ما "الذي جنيته" لكن فكه اِنشل عن الحركة وشعر بحاجة شديدة لأن يعود لغرفته و يبكي وحيدا، أخذت عيناه تتوسل إليه، حتى قال أميرهم "خذوه" حدق بعينيه مرتجيا وهم يسحلون به، كانت نظرة تفطر أعتى القلوب، كانت تعبر عن كل ما أراد قوله و كل الظلم الذي وقع عليه، وكانت نظرة الرجاء الأخير.

***

الانتقام

تأليف: أحمد سليمان أبكر(السودان)

...

لا تزال تغشى سماء تلك البلاد بقية من ظلمات القرون الأولى، وقد تولّت شأنها طائفة من طوائف البطش والتنكيل كانت نازلة هناك وراء بعض الجبال المنقطعة، فما رأوه حتى هاجت في صدورهم أحقاد تلك العداوة الطائفية التي يزال يضمرها هؤلاء القوم لكل من خالفهم التوجه والمذهب، فحبسوه في سجن الانتقام وأذاقوه صنوف الذل والهوان. كان ومن معه مسجونين في أقفاص كهفٍ مظلمٍ تتدلى الأفاعي من سقفه وتدب الحشرات في جنباته، وعندما ينتصف الليل تدخل عليهم من شقوق الكهف أشباح الذين مضوا منهم فيحدّقون إليها وتحدّق إليهم، ويخاطبونها مستفهمين فتجيبهم مبتسمة، ثم يحاولون الإمساك بها فتتوارى مضمحلة كالدخان. كانوا يصرخون ويستغيثون وخيال الموت منتصب في وسطهم وأجنحته السوداء تخيّم عليهم، ويده الهائلة تسقطهم بالعشرات ومن يسقط يرقد ولا يستيقظ أبدًا، ومن لا يسقط يسير قسر إرادته عالمًا بأنه سيسقط ويرقد مع الذين رقدوا.

لقد صرخوا في آذانهم فلم يستوقفوا غير أشباح الدجى، وتفحّصوا طبقاتهم فلم يجدوا بينهم سوى جبان يسترسل متجبرًا أمام المقيدين بالسلاسل، وضعيف يترفّع منتصبًا أمام المسجونين في الأقفاص، أما المحطون بسجنهم ففي ملامحهم من يشبه الطاووس تيهًا بعجرفته ومن يماثل الثعلب باحتياله، ومن يضارع الأفعى بخبثه، ولكن ليس بينهم من له هيبة الطاووس وذكاء الثعلب وحكمة الأفعى.

لقد صاروا غرباء وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنها جعلتهم يفكرون بوطن سحري لا يعرفونه، وأن تُملأ أحلامهم بأشباح أرض قصية ما رأتها أعينهم من قبل، إنهم صاروا غرباء عن أهلهم وخلّانهم، وإذا ما قُدر لأحدهم ملاقاة واحدٍ منهم يقول في ذاته: من هذا؟ وكيف عرفته؟ وأي ناموس يجمعني به؟ ولماذا اقترب منه وأجالسه؟ لقد أضحوا غرباء عن أنفسهم، حتى إذا سمع أحدهم لسانه متكلمًا استغربت أذنيه سماع صوته، وغرباء عن أجسادهم حتى إذا ما وقف أحدهم أمام المرآة رأى وجهًا لا تشعر به نفسه ووجد في عينيه ما لا تكنه أعماقه، إنهم غرباء ولم يعد في الناس من يعرف كلمةً من لغة نفوسهم.

وقف أمام قاضيهم فسأله عن تهمته فأنكرها، فلم يحفل بإنكاره، وقال له: لا يدل على براءتك إلا أمر واحد، وهو أن تترك طائفتك وتنضم إلى طائفتنا، فطار الغضب بدماغه، وصرخ صرخة دوت بها أرجاء القاعة، وقال: في أيِّ كتابٍ من كتب الله، وفي أيِّ سنةٍ من سنن أنبيائه ورسله قرأتم جواز أنْ يعمد الرجل إلى الرجل الآمن في سِربِه، القابع في كِسْرِ بيته، فينزع نفسه من بين جنبيه، ويفجع فيه أهله وقومه؛ لأنه لا يتقلّد مذهبَه؟ لو جاز لكل إنسانٍ أن يقتل كل من يخالفه في رأيه ومذهبه لأقفرت البسيطة من ساكنيها. إنَّ وجود الاختلاف بين الناس في المذاهب والطبائع والغرائز سنةٌ من سنن الكون التي لا يمكن تحويلها ولا تبديلها، حتى لو لم يبقَ على ظهر الأرض إلا إنسان واحدٌ لجرّد من نفسه إنسان آخر يخاصمه وينازعه. من أي عالم من عوالم الأرض أتيتم بهذه العقول التي تصور لكم أن الشعوب تساق إلى المذاهب سوقًا، أين العهد الذي اتخذتموه على أنفسكم يوم أن توليتم شأن هذه البلاد، أن تحترموا من خالفكم في رأيٍ أو مذهب ما دام يجادل بالحسنى، وأن لا تأذوا الناس في شعيرة من شعائرهم. أهذا

الذي تصنعون اليوم، والذي صنعتم بالأمس، هو كل ما عندكم من الوفاء بالعهود والرعي للذمم؟

نعم لكم أن تفعلوا ما تشاءون فقد خلا لكم وجه البلاد وأصبحتم أصحاب القوة والسلطان فيها، وللسلطان عزة لا تبالي بعهد ولا وفاء, وها قد أضحت عهودكم سيف قاطع في يدكم، وغل ملتف على أعناق غيركم، فلا أقال الله عثرتكم ولا أقر عيونكم، ثم حاول الاستمرار في حديثه فقاطعه القاضي وأمر أن يُساق إلى ساحة الموت التي هُلك فيها من قبله ألوف الشباب، فسيق إليها واجتمع حول مصرعه وآخرين رجالاً ونساءً، ثم وجه الجلادون إليه ومن معه بنادقهم الآلية وما هي إلا غمضة وانتباهه حتى سبح ومن معه في بحر من الدماء، فحملوهم في سيارة مكشوفة وألقوا بهم في العراء ولكنه لم يمت وقد كتب الله له النجاة من بين تلك الأشلاء، ليجنح إلى شعبة من شعب الجبال ويحيا حياة غير التي كان يحياها.

لقد عاد إلى الحياة ولكن بقلب صخري لا يفارقه السخط على الأرض وساكنها، وهو يرى ما يزعمونه من قيم وأخلاق ما هي إلا أصباغ مفرغة على أجسامهم إفراغًا لا تلبث أن تطلع عليها شمس الحقيقة حتى تتطاير ذراتها في أجواء السماء، وأن مكانها من نفوسهم مكان الوجه من المرآة؛ إذا انحرف عنها الناظر فيها، زال خياله منها.

الوجوه مرايا النفوس تضيء بضيائها وتظلم بظلامها، لقد فارقته سنوات أنستني أيامها صورته، ولم يبق في ذاكرتي منها إلا ذلك الضياء اللامع ضياء الفضيلة ونبل الأخلاق الذي كان يتلألأ فيها تلألؤ نور الشمس في صفحتها، فلما رأيته اليوم خيل إليّ أنني أرى رجلاً غير الذي كنت أعرفه من قبل، ذلك

الفتى الوضاح الضاحك، بل رأيت رجلاً شقيًا منكوبًا مكفهر الوجه، فكان أول ما قلت له: لقد تغير فيك كل شيء يا صديقي حتى صورتك! فأطرق برأسه إطراق من يرى أن باطن الأرض خير له من ظهرها، ولم يقل شيئًا، فدنوت منه وقلت له: والله ما أدري ماذا أقول لك؟ أأعظك وقد كنت واعظي بالأمس؟ أم أرشدك، وأنت صاحب الرأي والحكمة؟

حسبنا يا صديقي من الشقاء في هذه الحياة ما يأتينا به القدر فلا نضم إليه شقاءً جديدًا نجلبه بأنفسنا لأنفسنا، فهات يدك وعاهدني على أن تتخلص من روح الانتقام، وتعيش في ظلال الفضيلة كما كنت، ثم مددت يدي إليه، فراعني أنه لم يحرك يده فقلت له: ما لك لا تبسط يدك إليّ؟ فاستعبر باكيًا وقال: لأنني لا أحب أن أكون كاذبًا ولا حانثاً. قلت: وما يمنعك من الوفاء؟ قال: يمنعني منه أنني شربت جرعة من جرعات الحياة المريرة، فلابد لي أن أشربها حتى ثمالتها ولا شيء يستطيع أن يقف في سبيلي إلا شيء واحد فقط، هو الانتقام.

قلت له: إن الحياة التي تريد أن تحياها إنما يلجأ إليها المنبوذون الذين لا يصلحون لأعمال الفضيلة والخير ليتواروا فيها عن أعين الناس حياءً وخجلاً حتى يأتيهم الموت فينقذهم من عارهم وشقائهم وما أنت بواحد منهم!

ثم لم أشأ أن أفارقه وأنا أحاول رده عن حمقه وفساد تصوراته وغرابة أطواره، حتى انتزع من بين شفتيه ابتسامة شاحبة وقال: دعني يا صديقي والقضاء يصنع بي ما يشاء، وأبكِ صديقك القديم منذ اليوم إن كنت لا ترى بأسًا في البكاء على المارقين المذنبين. ثم انفجر باكيًا بصوت عالٍ وتركني مكاني دون أن يحييني بكلمة وخرج هائمًا على وجهه لا أعلم أين ذهب، فانصرفت

لشأني وقد ذرفت عيني دمعة لا أعلم هل هي دمعة التفجّع لضحايا العنف والإرهاب، أم الحزن على الصديق المفقود؟

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون عن أنهم غير راضين عن نظام الذين يمسكون بزمام الأمور. رضًا يفرض عليهم لهم الطاعة والولاء؛ فقد ضاقوا بما يحملون من مظالم هذه الطائفة ضيقًا شديدًا، فإنهم ليتمنون لو استطاعوا أنْ يخلعوا عن أعناقهم إصر هؤلاء الظلمة الذين لم يعدلوا في حكم، ولم يقسموا بالسوية، ولم يحققوا للناس معنى من معاني الحرية والإخاء، أو يهيئوا لهم عِيشة ناعمة رخية، وإنما كان كل همهم أنْ ينعموا بحياة مترفة قد بلغت الغاية من البذخ والرفاهية، والناس يعانون ما يعانون من ألوان الحرمان والمذلة، ويقاسون آلام المرض والعري والجوع.

كانت هذه الخواطر تلمُّ بقلوب الناس، فيُسرّونها حينًا ويجهرون بها حينًا آخر، ولم تكن عصائب فتيان الزعر التي أنشأها في شعاب الجبال، وغاراتهم المتوالية على حدود المدن، إلاَّ تعبيرًا صامتًا عن تلك العاطفة التي تغلي بها نفوسهم على اختلاف عناصرهم، كما يغلي الماء في القدر فيترشش على حافة الوعاء. أمَّا في مضاربه فكانت تتوالى الاجتماعات التي يشهدها زعماء الطوائف المتحالفين معه وهم يرفدونه بالمال والرجال لتخليصهم من شر الظالمين المتنطعين المشغولين بجمع الضرائب والمكوس ومن يمنعهم المال سُلّموه إلى جلاديهم يفتنُّون في تعذيبه كل فنٍّ، بالكيِّ، ودق المسامير في جسده وعصر أصداغه بالمعاصر وبالجوع والظمأ والبرد القارس في حجرات السجن المظلم، وبتخويفه بالنار والخازوق والشنق على باب زنزانته.

مضت الأيام وعظمت شوكته، واستعد جنده في انتظار ما يصدر إليهم من أمر، وأخذت أخباره تترى وحديثه يدور على ألسنة الناس حيثما اجتمعوا.

فيقول بعضهم: أمَّا نحن فلا نحسبه يهجم الآن، لإنه أبعد نظرًا من أنْ يرمي بجنده إلى الهلكة، وهو يرى خصومه لم يزالوا أعزُ جانبًا وأعظم قوة!

فيرد عليهم آخرون: أفما سمعتم بما اجتمع له من الجند، وما هيأ من أدوات القتال؟ أفتحسبونه قد أعد ذلك كله من أجل البقاء مكتوف اليدين؟

ويقول طرف ثالث: نعم، وليس يغيب عنكم أنَّ له ثأرًا يطمح أن يناله، ثم إنه ولا ريب يعلم علم اليقين قوة بأس الطائفة وشدة مراسها.

فيتململ المتحمسون لنصرته في مجلسهم ويردون منكرين على أصحاب الطرف الثالث مقالتهم: ألا تزالون تذكرون الطائفة بما ليس فيها، فكيف يغيب عنكم قوته وشدة مراسه، وإنه لشابٌّ لم يزل في يديه غده؟!

أما العقلاء فيقولون: اسمعوا يا قوم أما أنْ تقحموا ما بينكم وبين

الطائفة من عداوة في الأمر، وتنسون حق بلادكم عليكم فهذا ما ليس بعدل! قد يكون هو على حق، وقد تكون الطائفة على ما تصفون من ظلم وفساد الضمير على باطل، لهذا فمن الحكمة بمكان أن نتناسى كل أسباب البغضاء ونذكر حق هذه البلاد التي نأمل يُحّكم فيها العدل دون سفك دماء.

عاشت البلاد في همٍّ ناصب بضعة أشهر، ولم تزل الأخبار تترادف بعِظم استعداده للانقضاض على طائفة الحكم، حتى نشبت المعركة والتقى العسكران، وحمل جُنده على عسكر الطائفة، يحصدونهم حصدًا، حتى لم يكد يثبت لهم راجل ولا راكب، بل صاح صائهم: النجاة! النجاة قبل أنْ يحاط بكم! ثم تفرقوا

أباديد على ظهر الوديان، وخلّوا قادتهم على الأديم صرعى، وأميرهم على سيارته يصيح بمن حوله ليثبتهم فلا يستجاب له. وانطوى اللواء المنشور على رأسه وفرَّ حامله. ولما رأي الأمير فرار قومه أخذ في طلب النجاة لنفسه، فلم يكد يفعل حتى تراءت لعينيه صورة ورنَّ في أذنيه صوت فانفلت مقود السيارة عن يده، وقد انقبلت وألقت به على الغبراء، وهمَّ أنْ ينهض من كبوته فما أطاق، ولما رفع عينيه رأى مسدسًا مصوبًا إلى رأسه في يد شاب مسيخ، مشوه الخلق، بشع المنظر. وكأنما تجسد الموت بشرًا، فكانت صورته هي ذلك المسيخ في يده ذلك المسدس المصوب، وانعقد لسان الأمير من الرعب فلم ينطق، وقد أحكم الشاب أصبعه على الزناد وهو يصيح في نشوة: خذها من يدي أيّها اللّعين! فتح الأمير فمه مذعورًا، واتسعت حدقتاه، وقد انبعثت في خياله صورة ماضيه البعيد حيَّةً، كأن لم تمض دونها تلك السنون، وحرك فكيه وقد سال الدم إلى فمه من الجرح الغائر في جبهته، وهو يقول بصوت مختنق: أهو أنت؟! صاح الشاب في غلظة: نعم، أنا هو الذي ظننت يومًا أنه مات وذهب إلى غير معاد قد نُشر اليوم من موت ليأخذ منك ثأره و ثأر كل من ظلمته.

ثم ما لبثت أن سقطت ذراعا الأمير إلى جانبه، وامتلأ فمه بالدم حتى فاض، ومال رأسه وانطبقت أجفانه، ولفظ أنفاسه.

واحتز الشاب رأسه فألقاه في هوة قريبة، وخلف على الغبراء جسدًا بلا رأس، لا يعرفه أدنى الناس إليه صلة وأقربهم مودة، وهو يقول في شماتة: فليبق هذا اللّعين في هذه المفازة طريحًا، حتى يتخطفه الطير فلا يضم جسده ضريح في بطن الأرض.

لقد بسط سلطانه على البلاد ونصب محاكمه وقد أخذ البريء بِجريرة المذنب، وانطوت جوانحه على صخرة، لا تروعها أنَّات الثَّكَالَى، ولا تحركها رنَّات الأيَامَى، وعيناه جامدتان لا يرمش لهما جفن وهما تريان منظر الطفل الصغير والنار تأكل أطرافه وتتمشَّى في أحشائه وبين جوانحه، فتصرخ أمه، وأمه عاجزة عن معونته؛ لأن النار لم تترك لها يدًا تحركها، ولا قدمًا تمشي عليها.

قال غريمه قاضي الطائفة الذي حكم عليه يوم ذاك هو ضارعًا إليه: ألا يملك عبدك يا مولاي أن تتفضل عليه من معروفك؟

قال له ساخرًا: أي معروف صنعت في حياتك حتى تطلبه الآن يا لعينّ!

اصّفر وجه القاضي واختلجت أطرافه، وقال مسترحمًا: وبنيَّ وبناتي يا مولاي، ما خطبهم ؟ وما ذنب زوجتي المسكينة؟ لقد حلت النقمة على أبيها (الأمير)، فادخِرْني لها يا مولاي واجعلني بعض إحسانك إليها وإلى هؤلاء البنين والبنات.

قال له ولم يزل في سورته: لقد حكمت، على نفسك منذ أن وقعت في يدي!

ثم أمر بحبس القاضي ليموت في محبسه شر ميتة.

فلما سمعت بطغيانه ذهبت إليه في مجلسه وقلت له ناصحًا: يا أخي لا تجعلوا ما يجري في صدوركم من محاربة الظالمين مُرادًا به التَّشَفِّي والانتقام منهم، أو القضاء عليهم، وإنما يكون لحماية الناس من ظلهم وتعسفهم، أي إنَّ القتال يكون ذودًا ودفاعًا لا تشفيًا وانتقامًا، وآية ذلك أنَّ السَّرية من الجيش ما كانت تخطو خطوة واحدة في سبيلها الذي تذهب إليه حتى يصل إليها أمر الخليفة القائم ألا

تحارب إلا مَن يقاومها، ولا تُقاتل إلا من يقف في سبيلها. ولو أنكم قضيتم على كل من يخالفكم وأصبحت رقعة الأرض خالصةً لكم لانقسمتم على أنفسكم مذاهبًا وشيعًا، وتقاتلتم على مذاهبكم تقاتلَ أرباب الأديان على أديانهم، وهكذا حتى لا يبقى على وجه الأرض مذهبٌ ولا مُتمذهب.

نعم.. عذرتكم، يوم أن كان هؤلاء الذين تريقون دماءهم ظالمين لكم وذاهبين في معاشرتكم مذهب السوء والغدر، أما والآن فالقوم في ظلالكم وتحت أجنحتكم أضعف من أن يمدوا إليكم يد سوءٍ أو يبتدروكم ببادرة شرٍّ فلا عذر لكم. وأعلموا أنَّ سفك الدماء بغير ذنبٍ ولا جريرة وحشيةٌ وهمجية أَحرى أن يُعزّى صاحبها فيها لا أن يهنّأ بها.

لقد أمكنته الفرصة بغسل الدم بالدم، وقد يكون الانتقام لذيذ كما يقولون، ولكنه لذة يعقبها الندم والأسف، وتأتي على أثرها الحسرات والآلام، وما استطاع منتقم قط أن يزن عمله بميزان العدل والحكمة فتهدأ نفسه ويستريح ضميره بعد فراغه من انتقامه كما تبدأ نفس القاضي العادل بعد صدور حكمه بالعقوبة التي يراها، والفرق بينهما أنَّ القاضي يصدر في رأيه عن نفسٍ هادئة مطمئنة، قادرة على الوزن والتقدير، والمنتقم يصدر في عمله عن روح هائجةٍ محتدمة لا همَّ لها إلا أن تأتي على كل ما تستطيع الإتيان عليه؛ فهو يقضي قضاءه لا ليعاقب المجرم على جريمته، ولا ليدفع عن المجتمع شروره وآثامه، بل ليجرح نفسه ويؤلمها بأخذه للبريء بذنب المجرم، فالانتقام جريمة كيفما كان الدافع له، وكل جريمة تترك في نفس صاحبها نصيبًا من الألم والحسرة بمقدارها، ولقد صدق الذي قال: إنَّ العفو مرارة ساعة، ثم نعيم إلى الأبد، وإنَّ الانتقام لذة ساعة، ثم شقاء دائم لا يفنى.

***

وطن البرميـــل. . (العربي)

تأليف: د. أمين أحمد ثابت(اليمن)

...

. . . لاحول. . ولا قوة إلا بالله .

أمركم إلى الله. . ونعم الوكيـــل.

لم يعد هناك مكان . . نعيش فيه – مش كفاية . . تكاثرنا المجنون خلال العشرين عام الاخيرة.. لم يستجب أحد لتحديد النسل - تكاثروا . . يتباهى بكم في الاخرة - البشر ازدادوا بخلا - نعم . . نسمع أن الفقر تنامى جدا في البلد، هو ما اكتشفناه، بعد انتصاف النهار عند خروجنا لنقتات ونجمع الرزق من الغذاء لمن نعولهم- ألم يقل رسول الله: ". . كلكم راع، وكلكم مسئـــول عن رعيته".

- كانت أكياس البلاستيك السوداء الكبيرة مشحونة بخير وفير، من المواد العضوية، المقوية لأبدان صغارنا، والمكسبة لهم مناعة ضد الامراض. . جيل بعد جيل، حتى الفيتامينات.. كانت البقايا الكبيرة من الفواكه - من جميع الانواع - تتكدس وتتراص بفوضوية مطلقة في خلائط الألوان، حتى المعادن - آآآآآآآآه . . كانت دنيا!!!!!

. . . مــاذا حدث؟؟!

. . لم يعد . . برميلنا . . وطنا لنا . . قابل للعيش.

مازالـت الكـذبات ذاتهـا.– اصـبروا . . هـذا وطـنكم. الكـائن دون وطـن، كالحياة. . دون هواء . قاتلوا من أجله، من اجل ابنائكم . . مرضـــــاة الله!!!

نصبر . . على ماذا؟، نقاتل من؟، ومن منـا. . هـذا الـوطن. . حقـه ؟! - كنـا نسمع بعض معيلينا فيما يسمونه . . النسيج الاجتماعي، وانه يتكون من مكونات اجتماعية، أي اننا مكونات بكتيرية ، أعفان، فيروسات، ومعنا تتعايش جماعـات مهمشة من الطحالب والاشنات، حتى اننا . . أصبحنا نعرف أعراق كل جذر من مكونا الاجتماعي- لعنة الله عليكم بني البشر، لم تكتفوا بتناحركم فيما تتوهمـون الفخر به- جذور المرجعية القبلية - حتى ورثتمونا . . دائكم . . ذاته.

من زمن بعيـ.....د . . ووطننا البرميل . . لم يعد لنـــا، لـم نعـد نعرفـه، كل يوم نفاجأ بنزوح وتهجيـر لأقـوام جـدد . . إلينـا، بأعـداد غفيـرة - هـذا غيـر ممكن، لمن نشكو، لم يعد برميلنا الحبيب يتسع لنا - زعيق جماعات . . ملتحية : (. . تكاثروا، تكاثروا، يتباهى بكم في الآخرة).

- من يصدق، صرنا . . عند خروجنا اليومي للمعيشة، لا تصادف كائنا من كان . . تعرفه. . من قبل – مـن السـكان الاصـليين - لـم تعـد لنـا. . لغـة تفـاهم واحدة، لم تعد لنا قيما نحتكم إليها، لم يعد لنـــا. . نظـــــــام.

- مـع كـل تـوطين قسـري لنـازحين . . إلينـا، يكـون مشـمول بـدعم حمايـة السلطة، سلاح و . . مال.

- كل متوطن أجد . . أكثر تمادي على الآخرين و. . وعنجهية، حتى أصبح تقليداً يحكم حياتنا اليومية، كلما كان التبجح أكثر. . يلزم الحذر مع أمثال هؤلاء، تحمل قباحته، تحاشي. . ما يثيره، حتى . . النظر إليه . . يكون بنوع من المهابة أو تجنب النظر إليه . . بتاتا . . . .

ضجيج، تزاحم، تصادمات، شح الغذاء.

- لم تعد مساحة الوطن تتناسب مع تنامي السكان.

- والبشر . . يبدو أن الفقر حولهم إلى بخلاء - أكياس قماماتهم. . تحتوي على القليل من بقايا غذاء. . متعفن منذ ايام ماضية.

- أين البقايا الطازجة . . التي اعتدنا. . عليها.

- شحت الموارد، تصحرت الارض، وحل السلاح موضع المصادر.

- تقاتل الوطن البرميل . . بين ابنائه.

- كلام . . يتقولونه :" القبول بالآخر، الديمقراطية . . والتعايش.

- من يصدق . . أن اللقمة . . أقل تسويقا . . منها، والعمل . . لا يوجد لكي تعيش أسرتك ، إذا أردت، لا طريق . . سوى أن تسجل نفسك في الحزب الحاكم، وعبر مكبر الصوت. .

تطوف البلاد شبراً . . شبراً . . لبيع . . القول.

- قد يتقارب حجم الترويج البضاعي . . معاناتنا، الجوع، الفقر، لا وظائف، لا مستقبل، ورُهاب الصعاليك والتافهين المتبطلين. . فوق رؤوسنا . . لحملهم

السلاح، ومرافقين مسلحين بسيارات منهوبة، وإعاشة متكاملة و . . فلوس، فلوس.

- عليكم تقَّبُل. . هذا التمييز. . وإلا. . ستسيل الدماء . . إلى الركب.

. . . الوطن يتسع لل . . للجميع. . إن الله . . مع الصابرين.

نحتمل. . إيش وإلا إيش.

- أغنياء حَدَة. . أصروا عدم نقل أوطان معيليهم من أحيائهم السكنية. . الراقية.

- هنا على الاقل. . في ظل الظروف الراهنة، لن يعاني من نعيلهم. . عدم توفر الغذاء و. . الدفء، مثل غيرهم الذين يعانون في المناطق الاخرى، خاصة. . في تلك الأحياء الفقيرة.

... إن الله سيحاسبنا و. . رسوله يوم القيامة، كيف نعيش برخاء، ونترك من نعيلهم. . للجوع و . . والفاقة.

.... يجب إرضاء الله ورسوله.

- ألم يخبرنا نبينا الكريم(صلوات الله عليه). . . "كلكم راع، وكلكم م . . مس.....ئول عن رعيته.

نسمع الكثير منذ ما يقارب ستين عاما، عن قبائل أُخرى. . من جنسنا. . في مناطق وأحياء الفَيْد. . حياتهم تزداد رخاء، حتى في وقتنا المقيت هذا.

- أما نحن.. إخوتهم.

- مهددون بالتلاشي.

- إننا نن... قرض.

- دون دراية، وجدنا أنفسنا أشد عداوة وكراهية. . . لهم، وإذا بنا نجدهم لا يكرهون شيء في الدنيا أكثر من كرههم لنا.

- إنـه الحسـد و. . الشـعور بـالنقص. . لأن الله يظلـل علـيهم بنعمـه الكثيـرة، وجعلهم أسياداً على أمثالنا، لذا يرون فينا. . رخاصاً، م . . متطاولين.

- لا ينفع مع أمثالنا سوى. . الكرباج.

- لبسوا البنطلونات و . . صدقوا.

- ما يعرفوا . . إيش هي الرجولة.

- لا رجل. . بدون بندقية.

- لازم يعرفوا. . أن الله . . حق.

- لازم. . تأديبهم، حتى يثوبون إلى رشدهم.

- وصل العداء أوجه حتى. . فيما بيننا.

- لم يتوقف الأمر. . تجاه الموطنين. . قسراً. . علينا، بل صـار بـين الأُسَـر، وحتى. . الأخوة في الأسرة الواحدة.

...لعنة الله. . على البشر.

. .لـم يكتفـوا بمـا خنقونـا بـه فـي بلـدنا، يرمـون كـل صـراعاتهم وأوسـاخهم وأمزجتهم إلى داخل محيط برميلنا الحبيب، حتى ضـاق بنـا، بـل تمـادوا لدرجـة أنهم. . لا يكدسون بقايا مخلفات بِنَـائهم. . سـوى علينـا، وفـي محـيط واسـع مـن

موطننا، وينثرون الغبار والحجارة المنظفة من بيوتهم. . علينا - إنهم يحجبون علينا الهواء و . . الضوء.

- ضيقوا علينا المساحات، ضيقوا على أنفسنا.

- مساكننا أصبحت مثقلة بأنانيتهم، فبيوتنا وشوارعنا صارت آيلة للسقوط والاندثار... صراخ، شتم، قتل. . هنا وهناك.

- لم يعد الوطن. . الحياة. . ممكنة.

- رعب، امتهان، ضياع، ذُهان.

- لا أحد. . لا يتملكه الخوف من . . الأيام القادمة.

- حتى متوهموا السيادة.

- سمعنا أنه. . حتى المتقون داخل أوطان البراميل، قد هَرَبوا أُسرهم.. والأموال التي نهبوها إلى الخارج، اشتروا جنسيات لهم، وأنجبوا أطفال جُدد مجنسين.

– بمشيئة الرحمن.

- ومن هناك.. بين المراقص والتَسَّيح و. . وانفاق المال و.. ولقاءات الغرف المغلقة. . يديرون المعارك بيننا

. . هنا. . .

وترتفع أصوات متعادية " كل باسم الوطنية البرميلية" - الفيدرالية أ أ ... ، اتحادية، لا عدالة انتقالية بدون نظام اتحادي.

- إنها مؤامرة على البلد البرميل، إنهم خونة، يعرفون أن الوطن في ظل الحرب. . أصبح مفتتا ومنخورا، ولذا يجب إرجاع النظام السابق، هو وحده الذي كان يقدر على التعامل مع الكل، فلا يفقد الوطن أي جزء منه.

- إنها مؤامرة. . لتمزيق الوطن، ورسم خارطة جديدة للمنطقة.

- أي وطن!، أي فيدرالية وغيرها.. كله كذب، كلهم مرتزقة، خونة ، نَخَّاسة.

- ولا واحد صادق.

- كلهم مأجورين. . ونحن ندفع الثمن.

- قال اتحادية، عدالة انتقالية . . دولة ضامنة.

- على من تضحكون!

- كِفاية، لا نريد. . فقط أن نعيش . . كبقية خلق الله، كِفاية امتطاءنا والوطن. . ذريعة في وساختكم . . لتحكمون.

(ويحتدم البكاء، العويل المتردد صداه في طرقات الوطن البرميل)

- هذا و . . وذاك و . . ذاك، في كل ركن من مرسوم خارطة الحداثة، بعد سيكس بيكو، ووصاية قلنسوة بابا نويل.

- تلاشت الكهرباء، جفت المياه، شح الغذاء، تناسلت الضباع وابن آوى.

- ظلاماً. . يبسط نفسه على . . خير أُمَّة . . أُخرجت للناس، على أطيب أرض لوطن البرميل . . التي كرم ذكرها في صحف الأولين.

- نعيق يلف المواضع، في كل زاوية طفلا يحمل بندقية، وتسيل عنه الدماء، وينحشر الوطن البرميل بين أعفان ملتحيـة تُكَـدَس القـذائف، وتمـارس اللـواط. . سرا، وبتخفٍ تعلن قوتها بفخاخ وتفجيرات تستهدف. . الأبرياء، وبـين كُثـر مـن السذج الجبناء، يهربون من منحشر إلى آخر.

- لا يعرفون سوى الشَكَاء، البكاء ، واستجداء الخالق. . لرفع البلاء.

- وحين يهدأ القتل قليلا، يخرجون بطولاتهم . . لإرجاع الأمير.

- قذائف، صواريخ و . . قنص.

- لهب وانفجار و . . أوجاع و . . تجارة إعلام عربي بـ. . آلامنا.

- تناحر مكتض، و. . لا يتبقى سوى. . نثارات وطن. . كان هنـا، ُمـراق. . عليه الدماء.

***

أن تذبحو بقرة

عيسى محمد الحمد(سوريا)

...

دخل للمسجد وهو يشعر برهبة ورجفة تسري بين غضونه.. يزاحم كتفه عشرات الأكتاف التي لبت النداء مثله.. لقد تحقق الجزء الاكبر من حلمه.. والأن هو في بيت من بيوت الله ليستمع للبطل الذي أرسله الله تعالى ليعيد به مجد الاسلام التليد ويُعلي به راية الحق...شاء القدر أن يجعله أحد المختارين لسماعه ونهل بعض من معينه العذب.. كانت المرة الأولى التي سيراه بها عياناً فمنذ شهور لا يراه إلا المخلصون وهو ارتقى حتى أصبح منهم. فرآه وهو يدخل للمسجد بقامته الفارهة، وجسده المتناسق، رافع الرأس شامخ النظرات، كأنه من آلهة الاغريق.. هكذا كان انطباعه وهو يشاهده يعتلي المنبر.. ليقف كالأسد الهصور وهو يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ثم أردف : أخوتي في الله اليوم سنبحر في بعض آيات من كتاب الله وستسمعون مني مالم يقرأه أي أحد منكم في كتاب من قبل وهذا إلهام إلهي كرمني به ربي..

كانت هذا الكلمات كفيلة بشد انتباه كل من في المسجد وهو من بينهم حدث نفسه قائلا : لاشك أن من وصل لهذه المرحلة، لهو أحد المُلهَمين الذين يختارهم الله من بين أفراد الأمة.

زاد اعجابه أكثر وهو يستمع له وهو يكمل: ومع آيات من كتاب الله وقوله تعالى على لسان نبي الله موسى:" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ". وهنا نقف عدة وقفات هل كان مراد الله أن يذبحوا بقرة؟ كما قال كل المفسرين، وهل هذا هدف الله؟ والجواب بالطبع لا.. فالبقرة كناية عن أهم وأغلى ما يملك الانسان أي أن الله يطلب منا أن لا يكون أمامنا أي عائق أمام هدف إعلاء كلمة الله.. لذلك الآيات التي بعدها بدأت بتحديد البقرة المطلوبة حتى حصرها الله في بقرة واحدة بذاتها.. لأن ما يشغل الإنسان ويحتل قلبه ولبه بالنهاية، هو أمر واحد وذبحك للبقرة هو تخليك عن هذا الأمر في سبيل أمر أعظم وأنبل.. لذلك فَهِم مؤمنو بني اسرائيل المقصد حين قالوا الآن جئت بالحق.. ثم قال تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون، ليس المعنى أنهم ترددوا في الذبح ولكن المعنى أنهم أدركوا أهمية الأمر المتضمن ترك كل ما يشغلك مهما عظم في سبيل القضية الأهم ولاشك أن هذا ليس بالأمر السهل.. تخيل أنك متعلق بولدك أو أمك أو أبيك أو زوجك هل من السهولة التخلي عنهم ، لاشك أنك ستقول لا ولكن حين تعلم أنك حينما تفعل ذلك، ستنال ما هو أعظم، فبالتأكيد سوف يخفف ذلك من وطأة تخليك. ومن هنا أقول لكم ونحن مقبلون على تدوين تاريخ جديد من تواريخ البطولة لابد لكل واحد منا أن يذبح البقرة الأهم وهو يعلم يقيناً أن الجزاء مضاعف ولا حدود لعقولنا القاصرة أن تستوعبه..

ثم صاح بصوت جهوري: الله أكبر، فارتفعت الحناجر كلها وهي تردد بصوت واحد الله أكبر .. الله أكبر. واستمر التكبير وهو ينزل ويخرج من باب المسجد ليصعد سيارة دفع رباعي وهو يغادر لحيث لا يعلم أحد إلا القلة قليلة، خوفاً على حياته التي تعادل حياة أمة من العامة.

عاد لمنزله وهو يشعر أن طاقته الروحية قد زادت أضعافا بعد تلك الخطبة الرائعة التي سمعها قبل قليل. كم كان منبهراً بدقيق فهمه واستنباطه لكلام الله تعالى لاشك إذاً أنه يستحق المكانة التي وصل لها وأن يكون أحد مجددي هذه الأمة..

استقبلته أمه بالترحاب لكنه كان فاتراً معها. لقد أصبح مقتنعاً أن لا يدع لأي مشاعر مهما كانت أن تسيطر عليه.. إنهم مقبلون على مرحلة مفصلية، وهذه المرحلة بحاجة لكل أفراد التنظيم كي يكونوا بكامل طاقتهم الروحية والجسدية.

توضأ ثم صلى وبعدها قرأ ما تيسر له من كتاب الله ثم تمدد في سريره وهو يستعيد كلام أبي رغال الذي نقله لعالم نقي لم يكن يعلم عنه أي شيء. شعر أن ما قاله أبو رغال ثورة حقيقة في فهم كتاب الله رغم قلة اطلاعه ومعرفته القليلة جداً بدينه ولكن بعد هذه الخطبة العصماء قرر أن يقبل على الدين بكل طاقته وأن يبدأ بالتعلم حتى يكون كأبي رغال في علمه واستنباطه وفهمه.

دخلت أمه وهي تحضر له الشاي الذي يحبه، فاعتدل في جلسته، قالت له : أين كنت يا حبيبي؟ فانتفض لكلمة "حبيبي"، لا يريد أن يدع للأحاسيس أي حيز في حياته، فرد بجفوة: كنت في المسجد.. كانت والدته مُعَلِمة تدرس مادة التربية الاسلامية وكانت من الحافظات لكتاب الله، وكم حاولت قبلاً أن تجعله يحفظ بعض سور القرآن الكريم، لكنه لم يكن يبدي أي رغبة وتجاوب، ليس لعدم

اقتناعه ولكنه كان يحلم بأن يكون طبيب أطفال، ولم تشأ أن تضغط عليه كونه وحيدها الذي تحبه وتركته حتى يكبر ويفهم أهمية حفظ القرآن بنفسه.

علمته مكارم الأخلاق، فكان من المحبوبين لكل من يعرفه ولكن لاحظت عليه التغيير منذ أن جاء أبو رغال وزمرته واحتلوا بلدتهم منذ شهور عدة. حيث أصبح دائم الترداد على المسجد الذي حولوه من دار أمن وعبادة إلى دار تكفير وتقتيل. ولاحظت كيف تحول سلوكه من الهدوء إلى العصبية وعدم تقبل أي رأي إلا تلك الآراء التي يسمعها من الوافدين الجدد، والذين لا يعرف لهم أي مكانة علمية موثوقة.

تلعثم وهو يكمل بغلظة لم تعهدها إلا مؤخراً: كنت أستمع لخطبة الأمام أبي رغال.

فقالت: لقد كنت أستمع لها أيضاً من خلال مكبر الصوت. ثم أردفت: ما رأيك بتفسيره.

قال : إنه رجل مُلهَم، فتح الله عليه وأعطاه مالم يعطه لغيره.

قالت: ولكن يا ولدي ما قاله ليس له نصيب من الحق أبداً.

ظهر الغضب على وجهه وقال: وهل تملكين عُشر عِلمِه لتحكمين عليه، أراك تجهلين وتحكمين بجهل.

ابتسمت له ابتسامة تحمل الحب كله وهي تقول: يا بُني، لا تنس أنني من حَمَلة كتاب الله حفظاً وتفسيراً، وأنني قدمت تفسيراً جامعاً لسورتي البقرة وآل عمران، حيث لم أترك تفسيراً إلا ودرسته ومحّصته حتى في تفاسير الملل المنحرفة ولم أسمع أو أقرأ ذلك التفسير العجيب الذي خرج به صاحبك.

قال بعصبية واضحة: تكلمي عنه باحترام

استوعبتْ غضبه وهي تقول له: أي بُني حقي عليك أكبر من حقه.

قال: حق ولي الأمر وطاعته من طاعة الله، ومن خرج من البيعة فقد كفر وما قاله في سورة البقرة هو الحق الأكيد.

قالت له: يا بُني أنت تعلم أن اليهود أمة لا تؤمن إلا بما تراه فأراد الله تعالى أن يريهم معجزة مادية لعلهم يؤمنون، وكان قد قُتل قتيل منهم ولم يُعرف قاتله، فأمرهم بذبح بقرة ثم يضربون القتيل بجزء منها، لكنهم استهانوا بالأمر وشددوا بصفات البقرة المطلوبة فشدد الله عليهم حتى انطبقت الصفات على بقرة واحدة ليتيم فقير منهم فاشتروها منه بمال عظيم فأغناه الله، أما اختيار البقرة بالذات فذلك لأنهم عبدوا العجل بعد أن ذهب نبي الله موسى لميقات ربه فكان اختيار البقرة وذبحها ليمحي أي أثر مقدس في نفوسهم للعجل.

نظر لها ثم قال: كلامك لامعنى له، ومقالة أبي رغال أشد اقناعاً من كلامك السخيف هذا.

هنا فقدت أعصابها ولطمته على خده الأيسر وهي تقول وهل دين أبي رغال يعلمك قلة التهذيب والعقوق، قاتله الله ذلك الإرهابي الحقير. وكانت جملتها الأخيرة القشة التي قصمت ظهر البعير، فلم تشعر إلا بيديه تضغط بكل قوة على رقبتها. حاولت دفعه وفك يديه، ولكن الغضب الذي تملكه منحه جرعة إضافية من القوة وبدأت تفقد وعيها حتى سلمت روحها لخالقها.

أفلت يديه وهو يراها قد فارقت الحياة. الآن عرف معنى كلام أبي رغال وعرف معنى أن تذبحوا بقرة، لقد كانت أمه البقرة المقدسة والتي تعتبر العائق

الأكبر أمامه والآن تخلص من هذا العائق، وصار أهلاً لحمل الرسالة، تلك الرسالة التي حملها أهل الجهل ليزرعوها في قلوب من لا يملكون العلم كي يصبح قتل الأبرياء ديناً وسلب الضعفاء ديناً وحتى يجعلون الغرب يرون دين السلام والرحمة ديناً للقتل والدمار والإرهاب.

***

أثر

تأليف: هبة محمد المدهون(فلسطين)

...

لا أحد يعلم من أين جاء أولئك الأغراب، ولا أين ذهبوا، لا أحد يعرف أشكالهم ولا كيف أنهم استطاعوا أن يُجبرونا جميعًا على التقوقع في القرية والانفصال عن العالم. كل ما نعرفه هو تلك الأساطير التي رواها أجدادنا عن القوم الذين قدموا من السماء فأنقذونا من الشر الذي كان يعمّ العالم لنعيش سعداء في هذه الواحة المنعزلة في قلب الصحراء. كل ما طُلب من أجدادنا في ذلك الوقت ألا يتخطوا الحدود الحمراء الدائرية التي تحيط بحقول القرية، ولتكن هذه الواحة جنتنا الأبدية حيث لا همَّ ولا حزَن ولا شقاء.

ماذا يقبع خلف الحدود الحمراء؟.. لا أحد يعرف ذلك أيضاً، غير أن ظلال تلك الجبال الشاهقة من بعيد تعانق السماء كانت تخطف قلوبهم، فتبدو كما لو أنها تخفي خلفها عالمًا آخر ادَّعى الأجدادُ أنه عالم الشر الذي أنقذهم منه

الأغراب. وتلك الخطوط الخضراء المتعرجة التي ترتسم على منحدرات الجبال تتراءى لهم من بعيد كأنها ستائرٌ ملونة وجب عليهم أن يزيلوها ليشبعوا شوقهم الذي يتزايد للمعرفة، وربما هو شوق لحرية الاختيار التي سُلبت منهم منذ أن وُلدوا في هذه الجنّة السجن.

ثم بدأ النداء.. كان الصوت يقضّ مضجعهم، يقتحم خلواتهم ما أن تستقر الرؤوس على الوسائد، هو ليس صوتًا حقيقياً تستقبله الآذان، إنما شعورٌ غريبٌ يسيطر على القلب أن هناك من يناديك خلف ستائر الجبال البعيدة، عندها أصبح النوم ترفًا يفتقر إليه كل من سمع النداء. يقول الكبار أن هذا صوت حوريات الجبل يدعوهم للهلاك، ينتظرن قدومهم لكي يقتتن على عقولهم التي تطهّرت في عزلتها عن العالم، وينتزعن قلوبهم التي نجت من الشر المطبق هناك في الجبال.

كانت البداية حين قرر فتىً في السابعة عشر من عمره، بأنه لم يعد يقاوم النداء، ولم يعد يحتمل صداه في عقله، وبأنه يودّ لو أنه يرتاح قليلاً، يريد أن ينام، أو فليغادر هذا المكان للأبد حتى لو كان الثمن أن يقدّم قلبه وجبةً مجانية لحوريات الجبل..

كان الفتى أول من تحرّر من أساطير السابقين متخذًا قراره النهائي بالرحيل للجبال في عتمة الليل حيث لن يمنعه أحد، وكان أيضًا أول الهالكين بعد أن تخطّى الحدود الحمراء التي أحاطت بالقرية؛ عشر خطوات فقط بعد أن عبر الخط الأحمر قبل أن ينفجر اللغم.. لم يخبرهم أحد عن الألغام، كانوا يظنّون الشرّ هناك في الجبال خلف الستائر الخضراء لا على بعد خطوات من حافة قريتهم. فجأة تناثر الفتى قطعًا على الرمال تاركًا عشر خطوات ما بين جثته

والحدود التي عبرها، لكنه كان قد كسر القيد الذي غلفوا به أساطيرهم فتناثرت مع بقاياه خلف الحدود.

ها هُم الشباب والرجال ينظرون إلى جثته من بعيد وتدور في خيالاتهم كل الأسئلة التي لم يسألوها منذ وجدوا أنفسهم مواطنين في هذه القرية.

أصبح النداء أقوى الآن وكأن الدماء التي سالت على حقل الألغام أصبحت تشاطر حوريات الجبل في دعوة الناس إلى الخروج، شيءٌ ما لا تراه عيونهم أصبح يشعل الرغبة في المقاومة والحرية.

في كل ليلة يتساءل الجميع عمن سيكون التالي في سلسلة الخارجين عن القيود، هناك اتفاق صامت بينهم أن القدر يدعوهم للسير على آثار بعضهم البعض، هذه الحدود ملغومة، وكل الطرق مميتة إلا تلك التي رسمتها دماء من خطى قبلهم فوق حقل الألغام، وحده الأثر آمن ووحده يقود للنجاة، وكل سائرٍ جديدٍ في حقل الألغام يصنع آثاراً جديدة لمن بعده حتى يمزقه لغم جديد ليبدأ دورٌ جديد لسائرٍ جديد، ومع كل دماءٍ جديدة تسيل على الرمال الصحراوية يصبح النداء أقوى فأقوى، ويصبح الراغبون في الرحيل أكثر فأكثر. يستيقظون مع الفجر وهم مدركون بأن دورهم قد حان وأن رحلتهم إلى الجبال يجب أن تبدأ في الصباح.

رفع نظره إلى السماء، مجموعة من النسور تحلق في سماء القرية ترتقب وليمتها الحتمية والشمس تصبّ أشعتها على رأسه فتتزاحم قطرات العرق على جبينه العريض، يشعر بها فوق جفنيه الذين أرهقهما التوتر بينما تتصاعد ضربات قلبه مع كل خطوة يخطوها على آثار من سبقه..

هنا انتهت الآثار، هنا رحل آخر من سلك الطريق الرملي الملغّم، وقد رحل إلى السماء بالطبع، وهنا عليه أن يبدأ خطواته الحذرة التي يرسمها القدر. مازال أمامه عشرات الأمتار ومئات الاحتمالات أن يصيب لغما في طريقه، لا خطط.. لا أفكار.. ولا سبيل للعودة بعد أن إحتل من يتبعونه الآثار التي تركتها قدميه لكي يختفي أي تفكير بالعودة؛ يجب على جميع من يتبعه في هذا الدرب العسر أن يعودوا أولاً حتى يعرف طريق العودة المختفي تحت أقدامهم ، بينما احتمال السقوط في لغم آخر أثناء العودة للخلف يساوي احتمال السقوط في لغم أثناء التقدم للأمام. لا مناص إذن من التقدم، مازالت عشرات الأمتار تنتظر، ومازالت الألغام تنتظر الضحية القادمة .

تلفت حوله ليشاهد بقايا صديقه الذي قضى قبله في هذا المكان بالذات صانعاً من دمائه و أشلائه علامة لا تختفي ، كل آثار الأقدام اختفت حين حملت رياح العاصفة الرمال ونثرتها في وجوههم، وحدها دماء السابقين تركت علاماتٍ خالدة تدلّهم على الطريق. كان له عائلةٌ وأبناء، كلهم لديهم عائلاتٌ وأبناء ولكن السير في حقل الألغام كان قدراً يناديهم كل ليلة.

الخطوة القادمة!.. أين تكون الخطوة القادمة؟ ربما إلى اليسار.. لا. لا.. هناك ظل أسود غريب ربما عرّته الرياح وأزالت عنه الرمال .. ربما إلى اليمين .. أم يجب أن يتقدم للأمام .. الحيرة في اختيار الطريق الصحيح أصعب من الخوف. تقتله الحيرة فيخطو إلى الأمام مغمضًا عينيه.. لا شيء.. خطوةٌ أخرى بعد ترددٍ آخر وسيل من العرق يغرق وجهه.. لا شيء ..ومازالت عشرات الأمتار تمتد أمامه..

نظر إلى الخلف ليرى التساؤل في عينـي زميلـه فـي الـدرب علـى بعـد أمتـارٍ منه؛ هو يتساءل بالطبع عن سبب توقفـه، سـيظلّ يتبـع آثـاره مـادام حيًـا دون ان يخطر بباله للحظة مدى صعوبة الاختيار، لكنه سيفهم الأمـر جيـداً عنـدما يحـين دوره في اتخاذ القـرار. هـا هـو يـنعم الآن باتّبـاع أثـره لكنـه سـيكون فـي مكـان الاختبار قريبًا بعـد انفجـار أول لغـم فـي الطريـق. لا أحـد يفهـم إلا عنـدما يجـد الاختبار أمامه.. هنا لا أسئلة.. لا كلمات.. فقط قرارٌ أو انفجار ..

أعاد بصره للأمام متمنّيـاً أن ينتهـي هـذا الاختبـار بسـرعة، حيـث أن المـوت راحة لا ينالها إلا الذين وجدوا في قلوبهم شجاعة التقدم إلـى الأمـام، لـيس سـيئاً الى الحد الذي تخيله بعد أن قارنـه بصـعوبة الاختيـار وصـعوبة الثبـات، خطـوةٌ أخرى إذن..

خطوةٌ أخرى...

كان هذا آخر ما فكر فيه وهو يحلق مبتسماً لمَرأى التوتر الـذي إحتـل ملامـح خليفته تاركاً أشلاءه للنسور التي حظيـت أخيـرا بحصـتها فـي الطعـام، والعيـون الذاهلة للسائر الجديد في حقل الألغام تراقب في صـمت، لا يـدري أهـو صـمت العجز أم اليأس أم الخوف من الاختبار، نعم .. لا أحد يفهم قبل دخول الاختبار.

***

ملائكة وشياطين

تأليف: هشام أجران(المغرب)

...

خرج (بوشعيب) كعادته كل صباح متوجها لعمله، حيث يعمل نادلا بإحدى المقاهي المتواجدة بحي راقٍ وسط الدار البيضاء. شاب في عقده الثالث، أسمر اللون، طويل القامة، تبدو خطواته رشيقة، هو الذي حافظ على لياقته بممارسة الرياضة طيلة عشر سنوات كاملة. كان يسرع الخطى حتى لا يفوت موعد مرور الحافلة، فدرجة التزامه في عمله، وهوسه باحترام مواعيده، كانتا من أهم الأسباب التي جعلت رب العمل يحتفظ به.

توقفت الحافلة، فحشر نفسه بين الأجساد التي إرتمت على الباب الخلفي، واستطاع بفضل قوته أن يطأ الدرجات ويضع لنفسه مكانا بالداخل. وجوه كثيرة أمامه وحوله، الكل أسير همومه ومشاغله، تفرس في الملامح، فبدا له أن مواطني بلده يتشابهون، أو لربما كثرة الهموم تضفي على الوجه مسحة من

الأحزان، فتمنح الوجوه طابعا مميزا ومشتركا. أشاح بوجهه بعيدا عن ملامح الراكبين، وفرد قامته حتى يمنح لعينيه فضاء أرحب، وينشغل برؤية الخارج لعله أفضل، لكن، لا أمل...

وصل إلى مقصده، أمامه شارع واحد يقطعه راجلا ليصل إلى المقهى. وجد أحد زملائه منشغلا بترتيب الكراسي والطاولات، دلف للداخل فوجد صاحب المقهى جالسا في مكانه المعتاد، متجهما كعادته، تساءل في لحظة: "لماذا تغيب السعادة عن وجوه الأغنياء؟". غير ملابسة في غرفة داخلية، وبدأ عمله بهمة وحماس. الزبناء يتقاطرون، موظفون كبار، ورجال أعمال، وسيدات المجتمع الراقي.. الكل ألف أن يتناول فطوره الصباحي هنا، كما ألفوا (بوشعيب) لخفة دمه وطيبته، وتعامله الراقي معهم، وهم بدورهم كانوا كرماء معه لدرجة السخاء، فنسجت علاقة بين الطرفين، لا تستمر سوى دقائق، لكنها تتجدد كل صباح.

امتلأ المقهى عن آخره بالرواد، وتفرق (بوشعيب) وزملاؤه يلبون الطلبات التي لا تنتهي، ومن ورائهم نظرات صارمة من رب العمل المتجهم دوما. في لحظة، دخل شاب، لم يكن في الأمر ما يسترعي الانتباه، لكن (بوشعيب) تسمر في مكانه لحظات وهويتأمل الداخل، كان طويل القامة، حليق الوجه، صارم الملامح، التف جسده الطويل داخل معطف أسود أنيق، " لسنا في فصل الشتاء، فلم هذا المعطف؟" تساءل (بوشعيب). ثم ردد في نفسه دائما :"لكن ملابسه أنيقة وغالية أيضا، وهذا ما يشفع له دخول المقهى الفخم" .

استمر (بوشعيب) في عمله، بنفس الحماس، وبذات الهمة، يوزع الابتسامات على الجميع، وكلمات الترحيب أيضا، وأجمل عبارات الشكر كلما تلقى

"بقشيشا" من زبون، وغالبا ما يكون الزبناء أكثر كرما معه. اقترب من طاولة ، حيث جلس رجل ، منحته خصلات الشيب في شعره، وحمرة على خديه اختلطت ببياض بشرته الناصع، ونظارته الطبية الأنيقة، مظهرا وقورا. انحنى (بوشعيب)وقال بأدب: صباح الخير دكتور(عادل).

ابتسم الآخر ورد بصوت هادئ: صباح الخير(بوشعيب). كيف حال الوالدة؟

- بخير والحمد لله. والفضل بعد الله يرجع إليك دكتور.
- لم أقم إلا بالواجب يا بني. لا تنس أن تخبرها بالموعد المقبل، لنطمئن على حالتها.

كاد (بوشعيب) يقبل يده، لكن الدكتور سحبها وربت على كتفه، وتبادل الرجلان نظرات كلها تقدير واعتراف بالجميل من طرف (بوشعيب)، وحنان وعطف من طرف الآخر. ولما انصرف (بوشعيب) ليهتم بزبناء آخرين، كان يمسح دمعة ترقرقت على عينيه، وهو يتذكر كيف أنقذ ذلك الطبيب أمه التي كانت على مشارف الموت، وكيف تكفل بإجراء عملية دقيقة لها، متحملا كافة المصاريف، وذلك كان دأبه مع الجميع، فغالبا ما ساعد المحرومين والفقراء، وكثيرا ما أعاد بسمة الحياة لمن كانوا على مشارف الموت، إنه ملاك في صورة إنسان، هكذا يراه (بوشعيب)، والكثيرون غيره.

في شهوره الأولى في العمل، كان يعيش صراعا داخليا، بين واقعه البئيس، وما يراه في عمله من آثار النعمة والجاه على وجوه رواد المقهى، ولطالما اعتبرهم مغرورين، فاقدين لمشاعر الرحمة، غارقين في بحر الرذيلة والفساد.. ومع مرور الأيام، تغيرت نظرته، وفهم أنهم في النهاية بشر، وكما يعيش بين

الأغنياء شياطين الشر، فإن بينهم أيضا ملائكة الخير والإحسان والرحمة، وذلك حال الفقراء أيضا.

انتبه على إشارة من يد الشاب ، الزبون الجديد، يدعوه للمجيء، أسرع (بوشعيب) نحوه، والابتسامة لا تفارق وجهه، واجهته ملامح صارمة، زادها المعطف الأسود قتامة وقسوة، بادره بكل أدب: نعم سيدي.

-كأس ماء. رد الآخر بجفاء.

لم يألف (بوشعيب) هذه اللهجة، لم يعرف لم تذكر حيه، هناك حتى الكلام العادي يكون أشبه بالصراخ، وبكثير من الخشونة أيضا.

أحنى رأسه، وتوجه مسرعا ليلبي طلبه. وضع كأس الماء على طاولته، فمد الشاب يده بسرعة ليتناول الكأس، يد مرتعشة، أثارت انتباه (بوشعيب)، فكر أن يطمئن عليه، ويسأله ان كان يحتاج لمساعدة، لكنه عدل عن الفكرة، بعد أن واجهته نظرات غاضبة، واستدار منصرفا.

سيدات ولجن المقهى، يرافقهن أطفال صغار، تعلو ضحكات الجميع، الأطفال يجرون بين الطاولات في شغب طفولي لم يصل حد الوقاحة، والرواد متفهمون للوضع، (بوشعيب) أكثر تفهما، يحب الأطفال كثيرا، يعتبرهم مثل الملائكة، يعرف أنه لا يجوز وصف البشر بأنهم ملائكة، لكنه يصر دوما على ذلك الوصف، مادام الأخيار قد أصبحوا عملة نادرة في زمن لا يرحم، وأمنية حياته أن ينجب الكثير من الأطفال، وهو مقبل على الزواج خلال الصيف.

أسرع النادلون لتقديم المثلجات للوافدين الجدد، فانشغل الأطفال بمثلجاتهم، وخف صخبهم، وعاد ذلك الهدوء النسبي للمقهى. وفجأة، سُمِعَ صوت ارتطام،

التفت الجميع ومعهم (بوشعيب) نحو مصدر الصوت، حيث طاولة الشاب، الذي نهض من مقعده بطريقة مفاجئة، فأسقط كأس الماء البلوري الكبير، وكان صوت ارتطام الزجاج برخام الأرض مخيفا، لكن منظر الشاب كان مخيفا أكثر، كان في أقصى درجات التوتر، وعيناه جاحظتان، وعرق غزير ينهمر من جبينه، لاحظ (بوشعيب) أن يده مازالت ترتعش، ويده الأخرى داخل معطفه، صرخ الشاب بقوة وتحركت يده بعصبية كأنه يضغط على شيء ما داخل المعطف، وصرخ (بوشعيب) بكل قوة : لا.. وضاعت الصرختان مع صوت انفجار قوي هز المكان.

الدماء تملأ وجهه، ورائحة غريبة تخنقه، آهات تخترق سمعه، حاول النهوض فلم يستطع، شيء ما يكبل رجليه، ودخان كثيف يحجب عن عيونه الرؤية، أراد أن ينادي زملاءه، لكن ثقلا غريبا يجثم على لسانه، ويفقده القدرة على الكلام، استسلم لضعفه، وأغمض عيونه في ضعف وتهالك.. صور كثيرة تمر أمامه، الدكتور (عادل)، الأطفال الصغار، أمه، زملاؤه، زبناؤه، رب عمله، الشاب، شباب الحي...شعور غريب يسيطر عليه، فكأنه يسقط في حفرة عميقة لا قرار لها، قاوم بكل قوة، وجاهد ليفتح عينيه، مازال الدخان يسود المكان، لكنه يرى صورا مشوشة لوجوه تقترب منه، ويسمع صرخات وبكاء، أمسكه أحدهم برفق وقال له: هل تسمعني؟

بذل جهدا أكبر، وخرجت كلماته بطيئة وهو يقول: لماذا؟ ل..ما..ذا؟.

وجعاد ليهوي في تلك الحفرة التي لا قرار لها، وبلا عودة.

***

<u>إنتـزاع</u>

تأليف: أحمد غانم عبدالجليل(العراق)

...

شعرتُ فجأة إني عارية تماماً وجميع الجالسين في الكافيتريا التي لجأت إليها بعد تجوال طويل يحدِقون بثنايا جسدي، وانا شاردة النظرات هنا وهناك، أتفحص ملامح الوجه الذي أطل عليّ من مرآة الكوافير بعد قص شعر رأسي حتى الكتفين وصبغه باللون البني الفاتح، ووضع المكياج الساطع تحت وهج الـ "سبوت لايت"، مرتدية فستان لم أنزعه عني بعد قياسه في غرفة المرايا المتفابلة الصغيرة، ووضع الحجاب الحريري وثيابي الفضفاضة في كيس رميته في أقرب سلة قمامة، الفستان الجديد زاهي الألوان، يكشف عن جزء من صدري، يبرز خصري وينحسر عند ركبتيّ المستديرتين، كما لو أني لم أغادر المرحلة الثانوية، أو أنني أكتشف أنوثتي مجدداً في أعين الرجال، متحدية إثارة كل نساء المدينة، رغم ما يظهرنّ من فتنة مستغربة ما كنت أرتدي، استغراب لا

تتمكن النظرات المتطفلة من مواراته تحت حجب مراعاة الحرية الشخصية في بلاد الحريات.

ها قد أصبحت مثلهنّ الآن، من الخارج على الأقل، لا يربكني أي تمييز ولا ينتفض الخوف في صدري من أن أساق إلى التحقيق مرة أخرى، مع أن الأمر ليس بهذه البساطة، فلربما وجدوا فيه تمويهاً يثير الانتباه أكثر بدلَ استبعادنا عن دائرة الشبهات، خاصة وأني وهاشم ـ زوجي ـ كنا من الأصدقاء المقربين لحسن.

الغريب أنه لم يكن يبدو عليه أي شيء، لا من خلال تصرف أو كلام أو تلميح حتى، بعيداً كل البعد عن ذلك الإرهابي متسَيد شاشات الفضائيات، حسن الذي يهم بالمساعدة دون سؤال، يقرض أصحابه وأصحاب أصحابه أيضاً، غير مكترث بسداد الدين، بل ربما ينزعج ويحنق كالأطفال، كأنه يريد التخلص من النقود بأية طريقة، نقود لا يظهر تأثيرها على مستوى معيشته، كما لا يحتار في ذكر مصادرها، فهو هنا منذ عقود ودائم التنقل من بلد إلى آخر، وغير أمر النقود يستطيع تدبر فرص عمل مناسبة، غالباً ما تكون صعبة المنال، عبر اتصالاته الهاتفية، فعل ذلك مع هاشم قبل عدة سنوات، عندما أوجد له عملاً في شركة أكبر من الشركة التي استغنت عنه ضمن عدد من الموظفين كي تحافظ على كيانها من الانهيار.

حسن انتحاري! وعلاقاته النسائية المتعددة، وإسرافه في شرب الخمر الذي كنا نلومه عليه، من أجل صحته على الأقل، تطرفه(السِرّي)كان يحلل له كل هذا، أم أنه تحول إلى شخصية أخرى، في غفلة منا جميعاً، لسببٍ لا ولن يدرك سره إلا الله، مات ومعه غموضه وتركنا في حيرة التساؤلات ودهشتها، نُبذنا

معه عن دنيا خيمَت علينا طمأنينتها إثر عناء بحث عن مستقر نبدأ فيه من جديد، وعلى ما يبدو ليس لبداياتنا من انتهاء، كما ليس لتنكرنا من انتهاء.

أكان في حجابي أيضاً بعض التنكر، أو بالأحرى تقمص شخصية انتزعها مني ذلك الانفجار المفزع للجميع!

لكنني ارتديته عن اقتناع كامل وأنا في الكلية، ربما بتأثر من بعض زميلاتي وصديقاتي في بادئ الأمر، إلا أني تشبثت به أكثر لدى قدومنا إلى هنا، وإن كان سبب حرماني من عدة وظائف تقدمت لأجلها، رغم حاجتنا إلى كل مصدر دخل، خاصة في الفترة الأولى لغربتنا، هاشم من جهته لم يود التدخل في هذا الشأن، محترماً حرية اختياراتي منذ بدء علاقتنا، مع أنه أخبرني أكثر من مرة عن عدم اقتناعه بجدوى حصانة الحجاب للمرأة، اغتظت من رأيه لحين، لكني في النهاية وجدته اختلافاً من اختلافات وجهات النظر بيننا، لن تتسبب بأي صدع في قوة حبنا ومستقبل زواجنا، وهذا ما حدث بالفعل.

بهتَ وجهه لدى رؤيتي في هيئتي الجديدة، ولم يعلِق بكلمة، متفهماً سبب قراري المفاجئ، يستقرئ ما بداخلي عبر نظرات كانت دوماً أبلغ من أي كلام أو نقاش، وفي هذه المرة أراد كلانا اختزال الكثير في صمتٍ متوتر، مضطرب من مجريات الأحداث وتداعياتها علينا، ويكفي ما أخبرني به عن تخوفه من قرار فصله، فقط لأن صديقنا الانتحاري كان سبباً في توظيفه، رغم إثبات كفاءته في العمل، وعن ما يثيره من نظرات متشككة، تـوَجس التعامل معه من قبَل زملائه الذين توطدت علاقته ببعضهم إلى درجة الصداقة، والصداقة الحميمة أيضاً؛ أما أنا فقد تهت وسط الطريق، مرفوضة من صديقاتي المحجبات والملتزمات بإقامة شعائر وفروض الله في أي مكان ومهما كانت الظروف

والتحديات، بتعصب لم أفطن إليه فيهنّ سابقاً، وكذلك صديقات أخريات كنّ مقربات جداً بالنسبة إليَ، رغم كل اختلافاتنا، أخذنّ بالابتعاد عني شيئاً فشيئاً وبحجج واهية مختلفة، اختلقتها المخاوف من كل ما قد يصدر عنا، نحن الأغراب، وإن لم يبدُ من تصرفاتنا ما يدعو لمجرد وهم الشك، والأهم من كل هذا ما صار يواجهه أبنائي في مدارسهم ويعود بهم إلى البيت ساخطين وناقمين، وحتى كافرين بكل شيء، بكل ما حاولت ووالدهم تربيتهم عليه منذ بدء وعيهم في سوح بلادٍ أبحرنا نحوها قبل ولادتهم، محتفظين بوطننا الأصلي، وبأقصى ما نستطيع من تفاصيل، بين جدران كل شقة ودار صغيرة احتوتنا.

الآن فوضى الوطن أعلنت عن صخبها هنا أيضاً، ما بين صراخ وشجارٍ ونقمة على حصار لا نعرف وسيلة للفكاك منه، وإلى أين هذه المرة؟

صرت أنزوي في غرفة النوم، يصلني ضجيج الأولاد، يشاركني بكائي الطويل، وينتابني ذات الخواء الذي كان يدركني في نوبات مفاجئة وحادة من الاكتئاب، حسن كان الأقدر على تخفيفه، حتى من هاشم الذي صار سريع النفور من حالات ضعفي فيما يواصل البحث عن سبل استقرارنا في بلدٍ غريب يطل على بحر الشمال الشاسع كما لو أنه يفصله عن الدنيا، دنيانا القديمة تحديداً، لباقة ذلك الصديق الضحوك التي تبدو غير عابئة بشيء في معظم الأحيان، ومهما جثمت الهموم فوق الصدور، كانت قادرة على وهب الطاقة الإيجابية لكل من حوله وببساطة مريحة تسري في القلوب، تلقي في نبضاتها طمأنينة مستقبل رحب الآفاق، كيف كان يمكن أن يرسو بعقل أن يكون هو ذاته مبعث كل مخاوفنا واضطرابنا ووعيد اتهام قد يستمر في ملاحقتنا حتى في الأحلام التي أفر منها منتفضة، ومسامي تنزف العرق البارد، يتسرب إليّ من لفح صقيع الصبح الضبابي في الخارج، ابتلعَ أحجبة متنوعة ومتداخلة الألوان، رحت أرقب

اختفاءها واحدة تلو الأخرى من النافذة يوم انتقالنا إلى مدينـة نائيـة، وجـد هاشـم عملاً فيها بامتيازات تؤهلنا للبدء من جديد، ولو عند أطراف الحدود.

***

دموع الفراولة

تأليف: حسن كشاف(المغرب)

...

بعد أن دامت المناورات أسبوعا تجهزت الكتيبة وتفقد القائد أحوال أعضائها، ثم تحركوا حتى صاروا على مرمى حجر من موقع العدو.

ـ "أيها الإخوة تجهزوا! إن هذه المنطقة استراتيجية، وستكون حاسمة للسيطرة على مناطق أهم". فارتسم الجد والعزم على وجوه المقاتلين، وجهروا بالشهادتين وتتالت التكبيرات..

ـ "الله أكبر" "الله أكبر.. ". لينبعث صوت آخر قادم من الاتجاه المقابل:

ـ "الله أكبر" "الله أكبر".. "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ـ سنقطعكم إربا إربا يا أعداء الله..

بدأ إطلاق النار واشتد، ثم حمت المعركـة وتلاطـم المـوت بـالموت، وتقابلـت المجموعتان وجها لوجه، وأخذ الموت ينشر قهره وفداحته، فالحرب هنا تخمد ثم تنبعث على حين غرة، تاركة وراءها جثث المقاتلين المسلحين، وأشـلاء الرجـال والنساء والأطفال العزل على حد سواء، معممة الخراب المريع.

بعد نهاية المعركة المظفرة أخذ أفراد الكتيبة يتفقدون المكان، ومن ضمنهم يوسف؛ شاب ثلاثيني التحق بالكتيبة حديثا، قادما من ضواحي مدينة تطوان المغربية، بعد أن استطاع الحاج عبد الله إقناعه رفقة مجموعة من شباب المدينة للالتحاق بصفوف المجاهدين في الشام. وقد استطاع بسرعة كبيرة أن يتسلق الرتب داخل الكتيبة المقاتلة، حتى صار الرجل الأول بعد القائد. فأوكلت إليه مهام أكبر من عمره، وذلك بسبب فطنته وذكائه المتقد، إلى جانب بسالته وقوته الجسمانية، فما هو إلا واحد من أبناء الجبل الأشداء.

جاء إلى هنا، تاركا وراءه أُمًّا أدمى الفراق قلبها، وإخوة خمسا، كان أقربهم إلى قلبه توأمه سمير، الذي قاسمه كل شيء منذ أن كانا نطفتين في رحم الأم، وإخوة يتشبثون به كحبل نجاة وحيد في غياب أب مخمور، أنفق ما أمامه وخلفه في حانات مدينة طنجة.

الحي بأكمله يعلم أن يوسف هاجر إلى إسبانيا للاشتغال في حقول الفراولة، حتى هذه الأم الفاقدة للحيلة، تجلس كل يوم مترقبة خبرا أو مكالمة وجيزة على الأقل، غير أن الانتظار طال، والأفق اسود في وجهها، بينما استمرت النقود وعلب الفراولة في التقاطر على البيت نهاية كل شهر، على يد أحد مساعدي الحاج، حاملا معه عبارات الطمأنة والتبشير.

مضى على وجود يوسف في سوريا ما يزيد على سنة كاملة، افتقد فيها دفء الأسرة وهناء النوم، فمنذ أن سمع بالخلية التي ذبحت عن بكرة أبيها والنوم لا يدغدغ مضجعه، يبيت ساهرا، ليس لحراسة زملائه، بل خوفا من مناورة مباغتة لإحدى المجموعات المقاتلة. ليس له غير ذكريات الصبا يؤنس بها ليله،

مسترجعا الأحلام والطموحات التي شيدها رفقة توأمه على شفا جرف هار، فما كان مصيرها إلا الانهيار يوما بعد يوم.

فقد وجد نفسه بعد حصوله على شهادة الإجازة معطلا إلى أجل غير مسمى، فلم يجد غير جمعية الحاج عبد الله للتنمية والإصلاح، فانخرط فيها كمؤطر للأطفال، إلى أن وجد نفسه عضوا نشيطا فعالا مليئا بالحماس، فأثار ذلك انتباه الكل، في مقدمتهم الحاج عبد الله، الذي قربه إليه وجعل مقاليد الجمعية بين يديه، فاتصل الشاب بالحاج وتأثر بشخصيته القيادية بداية، ثم تشبع بأفكاره في نهاية المطاف.

لم يخطر بباله يوما الذهاب إلى خط النار وحمل السلاح. حتى جاء ذلك اليوم الذي كان يجلس فيه أمام التلفاز، يشاهد قناة للأخبار، من تلك القنوات الأكثر من الأخبار نفسها، فقد شاهد عملية إعدام جماعية قام بها الجيش النظامي السوري، بتواطؤ مع الجيش الروسي في حق مجموعة من أهالي مدينة حلب بدم بارد، فانهمرت عيناه بالدموع، واشتعل غيضا.. وأرعد الغضب في دواخله، وهمهم قائلا وقد ربط العزم:

ـ أنا لها.. إلى جيش الدولة الإسلامية بالشام..

فلم يلبث أن وجد نفسه في وجه المدفع مدججا بكل أنواع الأسلحة، وقد خاض عددا كبيرا من المعارك، منتصرا في جلها، ومعركة اليوم شاهدة على بسالته وإراقته لدم الخصوم.

أنهى يوسف رفقة كتيبته المهمة، ولكنهم لم ينهوها تماما، فقد راحوا يجوبون المكان كاتمين آخر أنفاس أعدائهم منتشين بالنصر، متضرعين إلى الله بالشكر والامتنان. فوقعت عين يوسف على أحد هؤلاء الخصوم ما زال يتحرك، فجهز

بندقيته ليخلصه من عذاب الاحتضار، تمشى بين الجثث نحوه غير أن الصدمة شلت تحركاته، توأمه سمير غارق في دمائه، إنه هو.. ! لا يمكن أن يخطئه حتى لو أغمضت عيناه. صرخ صرخة مدوية، وانتشل رأس أخيه الملطخ بالدماء من الأرض، وافترش له ركبتيه وهو يقول:

- "حبيبي سمير ما الذي جاء بك إلى هنا.. !؟"

- لم يستطع سمير أن ينبس ببنت شفة، وتنفس بصعوبة، فاسترسل يوسف في أسئلة لا تنتهي، الصدمة تكاد تذهب عقله، وتسكت قلبه.

- "كيف وصلت إلى هذا الجحيم ؟ وماذا تفعل في صفوف هذه الكتيبة.. ؟؟"

بذل سمير جهدا كبيرا وعيناه تتعلق بأخيه، ثم تكلم بصعوبة شديدة وبصوت خافت:

- جـ.. جئت بحثا عنك يا أخي.. الحمد لله!! الحمد لله أني رأيتك قبل أن أموت..

وتجمع حولهما أعضاء الكتيبة، كان سمير يحتضر، ولكن الابتسامة لم تفارق محياه منذ أن رأى أخاه يوسف، تأثر الجميع، وانتفض يوسف يصرخ من جديد:

- أنت مجنون ! مجنون! لماذا تبعتني لماذا ؟! لمن تركت أمي؟

- ..! أمي المسكينة فقدت بصرها من شدة البكاء، بعد أن انقطعت أخبارك !؟ ويَئِسَتْ من قصة حقول الفراولة..

- وأين الحاج عبد الله..!! ألم يقم بدوره !؟

- سمعت أنه هاجر إلى إسبانيا منذ شهور..

قاطعه يوسف متحمسا:

- لابد أنه سيلتحق بنا!! لقد حدثني يوما بشيء من هذا القبيل..
- يتداول أهل القرية أنه التحق بِوَلَدَيْهِ اللذين يدرسان الهندسة هناك!!

***

المُجنَّد ألف(1000)

تأليف: سماعي براهيم(الجزائر)

...

ليتني لم أعد إلى قريتي. ليتني بقيت في المدينة. أعيش في غفلتي.. لا أن أعود لأعيش بقلب حي.

عدت إلى قريتي. كنت أشعر بالفرح. حصلت على كل شيء. عدت أحمل شهادة في يدي. الوحيد من بلغ هذه الدرجة. عدت أتقن اللغات، أفهم الكلام أمام التلفاز.

والدتي، أبي، إخوتي. كلهم في انتظاري. فخر القرية. موعد آخر مع الفرح. اجتمعوا من حولي، لم يتركوا لي المجال. ترجوني أن أقول شيء. طلبوا كل شيء من كل شيء. لم تكفيهم الليلة. كنت أود الخروج إلى وسط القرية. أرى الناس. أصدقائي. أفضلهم. أقربهم لقلبي. حسين. أين يكون الآن؟ سألت عنه. ترجوتهم. حل العشاء. تأخر الوقت. لا يمكن أن تبرح مكانك. هناك يوم آخر

وتراه. هذه كانت كلماتهم. كـان شـيء فـي نظـراتهم لـم أفهمهـا. جعلتنـي المدينـة عاجزا عن تفسير مثل هذه النظرات المصطنعة.

سلبتي المدينة الكثير. كنـت أخـر مـن تحـرك فـي الغرفـة بعـد طلـوع النهـار. تناولوا استيقاظي المتأخر بنوع من المزاح الجميل. كنت لا أزال أرغب في لقاء حسين.

بعد كل شيء نفعله مع الصباح. عدت لأجلس أمام قهوة أمي. خبـز أمـي. مـع أول الرشفات تحركت الأرض من تحتي. اهتزت القهوة في فنجتني. كمـا لـو أن دبابة مرت قرب منزلنـا. اسـترقت أمـي بعـض النظـرات عـادت بوجـه شـاحب. كانت تعرف سؤالي.

- جاءوا بمجند آخر ليدفنوه.
- أي مجند؟
- في غيابك جند الإرهاب الكثير من أبناء القرية.
- أين يأخذون جثته.
- لتدفن بلا جنازة.
- بلا جنازة!
- نعم بلا صلاة. بلا عزاء. حتى البكاء ممنوع.
- سأذهب لأرى شرائعهم الفاسدة.
- أرجوك لا تكلم أحدا. لا تتدخل في عمل الحكومة.

لم أصدق قول أمي. خرجت وفي نفسي شك. اقتربـت مـن المقبـرة. بـدت لـي الجثة واضحة. ملفوفة برداء أبيض. مكتوب على كفنها بالأحمر ليس بدمها رقـم ألف. يعني هناك أرقام قبلهـا دفنـت، وأرقـام أخـرى أكبـر منهـا لا زالـت تنتظـر

دورها. وبنفس الطريقة البشعة سيدفن الجميع. أمامها كان يقف رجال. عرفتهم. كانوا من الأشراف. وبعيدا عنها كان الجميع، كنت واحدا منهم. الذين لا يحق لهم الكلام في حظرة أسيادهم. حتى التقدم نحوهم، التقرب إليهم محرم. أسياد حمير، فقط الريع، والفساد جعلهم أسياد.

سألت أحدهم من أمثالي الضعفاء: ماذا ينتظرون؟

- ألا ترى الحفار لم ينهي القبر!
- هل سيدفن بهذه البساطة؟
- ومن تعتقده يكون! وزيرا!
- ألا يحترموا بشريته!
- الضعفاء لا تحترم بشريتهم. هذا حسين ابن العربي.
- حتى حسين ابن العربي جنده الإرهاب.
- نعم فيما الغرابة. جندوا أمثاله في كل مكان.

خرج الحفار من القبر. كان وجهه ملئ بالغبار. أشار أحد الأشراف بحمله للحفرة. تقدمت خطوات نحوهم دون خوف. خطبتهم وفي قلبي قوة: هذا صديقي حسين. ابن قريتنا لن يدفن حتى نحترم بشريته.

لم يعارضني أحد. كانوا لا يزالون بنفس وجوه التهيب كما يقفون في كل جنازة. تقدم نحوي أحد الرجال. حاول منعي. كنت صلبا كالجدار. أخرسته بكلمات بسيطة: ماذا كنت لتفعل لو كان والدك. أخوك. أو أحد ابنائك؟

تراجع. لم يقربني بعدها أحد. اقتربت من الجسد الميت. حسين صديقي: ما ذنبه يا سادة؟ الطبيعة تأبى الفراغ. حكمة يعرفها الجميع. نظرت إلى الأشراف كانوا لا يزالون يمثلون القمة حتى ولو كانت مزيفة. خطبتهم واحدا. واحدا.

أيها المعلم بما نفعت هذا الشاب. قسوتك طردته من القسم. الجهل كان أرحم من عصاك على جسده.

أيها الإمام خطابك الديني فقط عن العقاب، الحساب، بطش الرب. جعلته يرتمي في حضن الغادرين. زينوا له الآخرة بالجهاد. بالفداء. بالتضحية. بعد الموت تستيقظ في الجنة.

أيها الغني أين زكاتك. تملك أفخم الأشياء، وأغلاها. سعادتك المزيفة جعلته يرى حياته وضيعة لا تساوي شيء. قادته لحتفها.

أيها الشرطي تنفيذك للقوانين غير عادل. أمثاله تحتقرهم، تشمت بهم. غيره من الأشراف تنحني لهم.

أيها المنتخب، وأتباعك، وأسيادك هل سمعتم يوما أنين هذا الشاب؟ ألا يحتاج، لعمل، لمسكن، لدعم؟ هل نصبوكم لخدمت عائلاتكم، وإنماء ثرواتكم؟

أيها الصحفي ما كتبت يوما مقالا تنصح فيه الشباب! همك أن تسرع في البحث عن سبق لتشهر بجريمة سببها المجتمع، ويعاقب عليها فرد.

أخيرا. وكان الغضب قد وحشني. التفت للحاضرين: أيها الشعب ليس فيكم من رأى خطأ هذا الشاب! ألا يكون واحدة منكم، وأنتم منه! لما الخوف، والذاتية تسكن قلوبكم. بيوتكم. أتبقون هكذا تشاهدون النهايات المأسوية في صمت حتى يحن الدور على واحد منكم!

توقفت عن الكلام لثوانٍ، ثم أضفت قائلا. أقصد الحاضرين، والغائبين: هيا تغيروا. وابدؤوا من الآن. ادفنوا الماضي. عيشوا في المستقبل إخوة في إتحاد لا تفنيكم الذئاب.

***

إعداد:

د. محمد سعيد المخلافي

تأليف:

1-نظرة الرجاء الأخير. لؤي جليل لفتة- العراق

2-الإنتقام . أحمد سليمان أبكر – السودان

3-وطن البراميل. د. أمين أحمد ثابت- اليمن

4-أن تذبحو بقرة. عيسى محمد الحمد- سوريا

5-أثر. هبة محمد المدهون- فلسطين

6-ملائكة وشياطين. هشام أجران- المغرب

7-انتزاع. أحمد غانم عبدالجليل- العراق

8-دموع الفراولة. حسن كشاف- المغرب

9-المجند ألف [1000]. سماعي براهيم- الجزائر